

# الباب الأول

مدرسة الكوفة النحوية



## الفصل الأول

### نشأتها

- ١ -

ومدرسة الكوفة النحوية حديثة العهد بالنسبة إذ أقيمت بمدرسة البصرة النحوية ، فقد سبقت البصرة الكوفة بهذه الدراسة التي كانت عملاً من الأعمال القرآنية ، ثم أخذت تستقل شيئاً فشيئاً حتى أصبح موضوع دراستها : الكلام العربي ، سواء أكان قرآناً أم غير قرآن ، وسواء أكان شمر أم ثراً وظلت البصرة تقوم بعهد هذا العمل زمناً طويلاً .

وكانت الاتصالات بين الكوفة والبصرة مستمرة منذ تخصيصها ، وكان التجاوب بينهما قائماً ، فلم يحدث شيء في البصرة إلا وجدت صدىه في الكوفة وما عرف شيء في الكوفة إلا رأيت آثاره في البصرة ، وكان الانتقال من مصر إلى مصر ميسراً للذين يرغبون فيه ، وربما أخذ الكوفيون المنسوب عليهم من البصرة مستقراً ، هرباً من السلطان ، واستتاراً من عيونهم ، كما فعل سفيات الثوري وغيره .

وربما أخذ بصريون من الكوفة مستقراً ومقاماً أيضاً ، لأن الكوفة - فضلاً عن أنها كانت مركزاً سياسياً للامصار الشرقية فترة طويلة من الزمن - كانت مركز الفقه والحديث والنراة ، ورواية الشعر والادب ، فليس غريباً إذن أن تنتقل هذه الدراسة من البصرة إلى الكوفة ، إما بواسطة الذين شدوا الرحال

من الكوفة الى البصرة طلباً للعلم ، ثم رجعوا الى الكوفة ، وإما بواسطة الذين هاجروا من البصرة ليتخذوا من الكوفة دار إقامة ،

وكان التنافس بين هذين المصرين شديداً ، والخلاف محتمداً من عدة نواح ، من الناحية الحزبية ، فالكوفة كما قلنا علوية والبصرة عثمانية . ومن الناحية العنصرية ، فأكثر أهل الكوفة من اليمانيين ، وأكثر أهل البصرة من المضريين . ومن الناحية العلمية ، فأهل الكوفة أصحاب فقه وحديث وقراءة ، وأهل البصرة أصحاب علوم وفلسفات ، لأنهم أكثر اختلاطاً بالأجانب من أهل الكوفة ، وأكثر حرية في اعتناق المذاهب المختلفة ، وأسرع الى الاخذ من الثقافات الاجنبية ، لتوافر مصادرها عندهم ، وكثرة انتقالهم لا كسب والتجارة والاكوفة - مع ضعف الاتصال بين عناصرها العربية وعناصرها الاجنبية اكثر تخرجاً من أهل البصرة في الاخذ بثقافات الاجانب لكثرة من فيها من الصحابة والتابعين ، ومن الفقهاء وأهل الدين .

هذه العوامل احكمت اسباب الاختلاف والتنافس بين المصرين ، فكان من نتائج هذا التنافس أن كانوا يتناظرون في مجالس الخلفاء ، حين تجتمع وفودهم في دواوينهم ، وكان الخلفاء يستمتعون بهذا النوع من المناظرات ، وربما ظاهروا فريقاً على فريق لاسباب تدعوهم إلى ذلك .

وتناولت هذه المناظرات نواحي عدة ، ومن بينها الناحية الثقافية ومن هذه الناحية مناظراتهم في النحو ، وكان التنافس بين نحاة الكوفة ونحاة البصرة شديداً في عهد الكسائي وسيبويه . وربما رجع الدارسون بالتنافس الى ما قبل عهدهما ، فقد ذكر الاستاذ احمد أمين : أن الخلاف بدأ هادئاً بين الرواسي في الكوفة ، والخليل في البصرة ، ثم اشتد بين الكسائي في الكوفة وسيبويه في البصرة . . . (١)

غير اننا نرجح أن التنافس بين نخاعة البصرة والكوفة لا وجود له في عهد الخليل وابي جعفر فلم يكن ابو جعفر الا بصرياً كما قيل ، او تعلم على معاهد البصرة ولم يكن بالنحوي الذين تحمله قدماء امام الخليل . وربما كان الزعم القائل بان لأبي جعفر الرواسي كتاباً في النحو اطلع الخليل عليه ، وانتفع به « ١٥ » هو الذي حمل الامتاز احمد امين - كما حمل غيره - ان يقول بهذا التنافس بين الرجلين وأكبر الظن ان التنافس بين نخاعة المصريين إنما ظهر في عهد الكسائي وسيبويه بمد وفاة الخليل وكان هناك من الاسباب ما حمل الكسائي على مخالصة سيبويه وأقواها خوفاً ان يتقرب سيبويه او غيره من البصريين من السلطان فيفقد الحظوة لديه كما سنشير اليه .

- ٢ -

براية المدرسة الكوفية عند القدماء

تبدأ المدرسة الكوفية عند القدماء بأبي جعفر الرواسي ، وكان أبو جعفر هذا قد أخذ النحو عن ابي عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر المقي ، فهو في نظرهم بمنزلة الخليل في البصرة ، لانها متعاصران وان كلا منهما اخذ العربية عن الشيوخ الذين اخذ عنهم الآخر ، لان الخليل اخذ ايضاً عن ابي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر .

وصنف الزبيدي في طبقاته نخاعة الكوفة طبقات ، جعل في الطبقة الاولى ابا جعفر الرواسي ومعاذ بن مسلم الهراء ، وهكذا فعل غيره من اصحاب الطبقات كأبي البركات بن الانباري وابن خلكان وابن النديم ، وياقوت .

وفي ضحى الاسلام جدول اخذه الاستاذ عن كتاب *Arabic Grammar* بعد ان زاد فيه بعض الزيادات واصلح فيه بعض التواريخ كما قال في هامش

ص ٢٨٤ من الجزء الثامن من ضحى الاسلام . وفي هذا الجدول جعل الاستاذ ابا جعفر الرواسي رأس المدرسة الكوفية ، واول من الف في النحو من الكوفيين وقد تلمذ له الكسائي والفراء ، وجعله نظير الخليل ، كما جعل الكسائي والفراء نظير سيبويه .

وذهب « أوليري » الى مثل ما ذهب اليه القدماء ايضاً فقد زعم « انه بعد قرن من الزمان تقريباً ( اي بعد قرن من نشأة النحو في البصرة ) بدأ أبو مسلم معاذ الهراء ( توفي سنة ٧٢٣ او ٧٢٧ م ) في الكوفة بالقاء دروس في قواعد النحو مشابهة لما كان يلقي في البصرة وكان في الوقت عينه مؤدب اولاد عبد الملك (١) . .

والكننا لانرى هذا الرأي ولا نعلم ان كوفياً كان نحوياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة قبل الكسائي ، فلا معاذ الهراء ولا أبو جعفر الرواسي ممن نضمهم في طبقة المؤسسين لهذه المدرسة النحوية الناشئة . ولم نسمع أن احداً من الكوفيين تخرج بها واكتفى بما تلقاه عندها وعرف بنحو خاص استمدته منها لا ينتمى الى فهو اهل البصرة والكسائي والفراء - وهما عماد المدرسة الكوفية - اما عرفا النحو الاصطلاحى بدراستها نحو البصرة ونخرجها بشيوخ بصريين . ولعل مما يؤيدنا في زعمنا هذا ان « بروكمان » حين عرض لهذا الجانب من موضوع نشأة المدرستين النحويتين وبعد ان ذكر الخليل وسيبويه ثم انتهى بهذا تناوله لمدرسة البصرة - قال : « وكان ينافس سيبويه في علم النحو احد قراء القرآن الشيعه : الكسائي الكوفي الذي سبق له ان علم الرشيد نفسه ، ثم عهد اليه الرشيد في تأديب ولده الامين (٢) ولم يشر الى نحويين قبله كما فعل غيره من قدماء ومحدثين .

(1) Oleary , How Greek science Passed to The Arabs , P 144

(٢) بروكمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج ٢ ص ٢٨ « بيروت » .

ويُنخِيل إلى أن النحو بين على اختلاف طبقاتهم ومدارسهم إنما استمدوا النحو من البصرة ومن علم الخليل المتشبه في كتاب سيبويه خاصة ، لافرق في ذلك بين كوفي وبصري وبغدادي .

أما البصريون فهم إنما اتسبوا المدرسة البصرية عن طريق كتاب سيبويه والتأخذة له فقد برعهم الكتاب وأعجبوا به غاية الإعجاب ، وكان قائدهم يقول : « من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بمد كتاب سيبويه فليستحي » وكان المبرد اذا اراد ان يقرأ عليه كتاب سيبويه - يقول له : هل ركبت البحر تعظيماً له ، واستصعباً لما فيه . (١) .

وكان أول من أقرأ الكتاب أبو الحسن سميد بن مسعدة الاخفش قرأه عليه أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازني (٢) وجاء المبرد فقرأ الكتاب على الجرمي والمازني وأقرأه المبرد بعد ذلك أصحابه وتلاميذه ، ومنهم ابن درستويه ، وعلق عليه بالشرح والتفسير .

ثم تعاقبت عليه الشروح بعد ذلك ، فقد شرحه بمد المبرد علي بن سليمان الاخفش الاصفهري المتوفى سنة ٣١٥ هـ وابن السراج المتوفى سنة ٣١٦ هـ والزماني المتوفى سنة ٣٤٨ هـ وأبو سعيد السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ والزمخشري وابن الحاجب ، وأبو الملا الممرى وغيرهم (٣) .

فالكتاب هو قوام المدرسة البصرية ، ومحور نشاطها ، وهو مادة علم البصريين واكثر ما جاءوا به انهم كانوا يزيدون عليه شرحاً وتفسيراً ، وزيادات اخرى يستدركون بها ما فات سيبويه او يؤيدون بها رأياً من آرائه .

( ١ ) فهرست ابن النديم ص ٧٧ ، نزهة الألباء ص ٧٥ ، أخبار النحو بين البصريين ص ٥ .

( ٢ ) نزهة الألباء ص ١٩٨ - ١٩٩ .

( ٣ ) دائرة المعارف الاسلامية - مادة « سيبويه » .

وأما الكوفيون فليست عنايتهم بالكتاب بأقل من عناية البصريين ، إلا أنهم كانوا يفتخرون منه في أغلب الأحيان موقف الناقد ، وكانوا يستمدون منه أيضاً مادة درسهم الأولى ، وإن كانوا يخفون ذلك بدافع من العصبية .  
وشيوخهم الأولون إنما تخرجوا به ، وفي مقدمتهم الكسائي والفراء . أما الكسائي فقد درسه على أبي الحسن سعيد بن مسعدة الاخش (١) ، وذلك في أكبر الظن . بعد ذهاب الاخش إلى بغداد ، واقصاه بالكسائي ، ومصاحبته اياه بعد أن ناظره ، وخطأه في جميع ما اجاب به عن مسأله في قصصه ذكرها الزبيدي في طبقاته عند الكلام عن سيويه . وأما الفراء فقد درسه أيضاً ، حتى لقد وجد بمضه تحت وسادته التي كان يجلس عليها ، كما جاء في حكاية أبي جعفر النحاس . (٢)

وجاء في دائرة المعارف الاسلامية : أن النسخة التي اهداها الجاحظ للوزير ابن الخياط كانت بخط الفراء ، وقصة الاهداء هذه ذكرها أبو البركات بن الانباري ، واكنه لم يقل إنها كانت بخط الفراء ، ولم يكن الوزير هو ابن الخياط ، بل هو محمد بن عبد الملك الزيات . (٣)

وأما البغداديون فقد أخذوا عن البصريين والكوفيين ، ومادة الدرس عند هؤلاء وهؤلاء . إنما هو النحو البصري المتمثل في كتاب سيويه ، وكل ما في الأمر ، أنهم خلطوا أقوال هؤلاء وهؤلاء . وانتخبوا من هؤلاء وهؤلاء ، ويسر لهم هذا أن بغداد كانت مقصد البصريين والكوفيين جميعاً لأنها عاصمة الخلافة الاسلامية وموطن الاعمال واكتساب الرزق ، فكان يهد عليها بصريون وكوفيون وغيرهم من أهل سائر الامصار ، فاما اجتمعت هذه العناصر في سعيد

(١) نزهة الألباء ص ١٨٦ .

(٢) الزبيدي : طبقات النحويين - « سيويه » .

(٣) نزهة الألباء ص ٧٤ .

بغداد ، وأحراز الى كل فريق تلاميذ ، واصحاب ، وجد من هؤلاء التلاميذ من لم يقصر الاخذ على بصري وحده ، وإنما كان يأخذ عن هذا ، ويرجع الى ذلك . ومن البغداديين ناس كثيرون درسوا النجوين ، وتخرجوا في المدرستين فليس المذهب البغدادي إذن الا مذهباً انتخابياً ، فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعاً ، على نحو ما فعل ابن مالك في محاولته الجمع بين المذهبين ، وانتهاجه منهجاً وسطاً بينهما « فان مذهب الكوفيين القياس على الشاذ ، ومذهب البصريين اتباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهر ، وابن مالك يحكم بوقوع ذلك من غير حكم عليه بقياس ولا تأويل . بل يقول إنه شاذ أو ضرورة ، كقوله في تقديم التمييز على الفعل المتصرف

والفعل ذو التصريف نورا سيقا

وقوله في مد المقصور :

« والعكس في شعر يقع »

قال ابن هشام : « وهذه الطريقة طريقة المحققين ، وهي أحسن

الطريقتين » . (١)

والذين خلطوا المذهبين كثيرون ، ذكرهم أصحاب الطبقات ، فذكر الزبيدي جماعة كبيرة عدتهم واحد واربعون نحوياً ، أولهم : ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم الكوفي الدينوري ( توفي سنة سبعين ومائتين للهجرة ) ، آخرهم : ابن خالويه أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه ( توفي سنة سبعين وثلاث مائة للهجرة ) .

وعقد ابن النديم في الفهرست مقالة في أخبار العلماء ، واسماء ما صنعوه

من الكتب ، وذكر فيها أسماء جماعة من النجوين واللغويين ، ممن خلط المذهبين

واخبارهم ، ذكر في مقدمتهم : ابن قتيبة وذكر منهم أبا حنيفة الدينوري ، صاحب  
الاخبار الطوال ، والسكري أبا سعيد الحسن بن الحسين ، وابن كيسان ، و  
بكر بن شقير ، ونظويه ، وابن خالويه ، وغيرهم ، كما فعل الزبيدي .

\* \* \*

ويحيل الى الدارس أن النحو وقف من حيث ابتدأ نضجه ، ولم يتح له النمو  
أو التطور بعد الخليل وسيبويه ، والكسائي والفراء . وكان كل هم الدارسين أن  
يوضحوا ما انبهم من عباراتهم في كتبهم ويفسروا الشواهد وان يندفعوا نحو  
المنطق للاستفادة من تظفله على النحو في اثناء محاولاتهم تطبيق أصوله على  
أصول النحو وصبر القضايا اللغوية النحوية بالصيغة الفلسفية المحضنة .

ولعل خير ما يقال في تحليل هذه الظاهرة التي طرأت على النحو بعد هؤلاء  
أعنى جهوده على ماجنته الدراسات من عثرات على يد الخليل وتلاميذه هو :  
أن مادة الدرس للدارسين بعد هؤلاء إنما هي ما جاء في كتاب سيبويه ،  
وما روه عن الشيوخ الاولين ، ممن هم في طبقة الخليل وتلاميذه ، الذين  
لازموه وصاحبوه .

فأما الدرس عند الكوفيين كتاب سيبويه وما روه عن أساتيدهم  
والفراء وأبي عمرو الشيباني وغيرهم من الكوفيين .  
ومادة علم البصريين هو كتاب سيبويه أيضاً وما روه عن شيوخهم ممن  
ذكرنا وغيرهم ولم يروا عن كوفيين .

أما النحاة الاولون وهم شيوخ المدرستين ومؤسسوها وفي مقدمتهم الخليل  
ابن أحمد وعلي بن حمزة الكسائي فادتهم اوسع دائرة واكثر حياة وهي :  
١ - هذه المرويات الضخمة التي عني بجمعها الرواة الاولون كأبي عمرو  
ابن العلاء ، وأبي عبيدة والأصمعي وغيرهم من البصريين والمفضل الضبي وحماد  
الرواية : غيرها من الكوفيين هذه المرويات التي هيأت للدارسين الاولين مواد

دراساتهم سواء أكان منها ما يتصل بالادب أم ما يتصل باللغة

٢ - وهؤلاء الرواة الذين كانوا يتصدون إلى الكوفة والبصرة ، ويتصلون

بالعلماء الذين كانوا يحنون بالاتصال بهم والاختذ عنهم .

٣ - ثم هذه البوادي العربية ، التي كانت تزخر بالفصاحة ، وبالأعراب

الذين لم تشب لغاتهم ولهجاتهم شائبة من عجمة ، وفي طليعتها بوادي نجد والحجاز

وتهامه ، التي استقى الخليل بن أحمد علمه منها ، كما قال الخليل للكسائي ، حين

سأله هذا عن المصادر التي أخذ علمه منها ، والتي شد الكسائي الرحال إليها فقصي

بين أعرابها زمناً طويلاً ، كان يكتب ما يسمعه منهم ، حتى أنفذ في كتابة ذلك

خمس عشرة قنبه خبر ، سوى ما حفظ ، كما قال أصحاب الطبقات .

وقليل ما هم أولئك الذين أتصلوا بالأعراب من تلاميذ الخليل والكسائي

وأصحابها ، أذكر منهم على سبيل المثال :

النضر بن شميل : تلميذ الخليل ، والراوى عنه ، وعن فصحاء الأعراب . ذكر

ابن النديم له كتباً في اللغة ، منها كتاب الصفات . قال : « وهو كتاب كبير ،

ويحتوى على عدة كتب ، ومنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلام كتابه « غريب

المصنف » . (١)

وعلي بن حازم ، أو ابن المبارك ، الأحياني : تلميذ الكسائي وغلامه على

حد تعبیر ابن النديم . قال فيه ابن النديم : إنه « لقي العلماء والفصحاء من

الأعراب وعنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلام » . (٢)

وابن سلام هذا لغوى كوفى ، روى عن ابن الأعرابي ، وأبي زياد

الكلابي ، وأبي عمرو الشيباني ، والكسائي ، وأنفراء ، والأحياني من الكوفيين .

وعن الأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد من البصريين ، وذكر له ابن النديم

(١) فهرست ابن النديم ، ص ٧٧ .

(٢) فهرست ابن النديم ، ص ٧١ .

مصنفات كثيرة في اللغة والقراءة . (١)

أما أكثر من جاء بعد تلك الطبقة فهم علماء لا رواة ، كانوا يأخذون العلم عن شيوخهم واحد عن الآخر ، حتى ينتهي البصريون عند الخليل وسيبويه ، والكوفيون عند الكسائي والقراء .

ثم أخذوا الزمن يسير ، لا يلوي على شيء وأخذت المسافة بين الدارسين ، ومصادر الدراسة الأولى تتسع شيئاً فشيئاً ، وأخذ العرب يرتضخون لسكتات أعجمية ، بسبب تلاقى العناصر المختلفة ، وتفاعل لغاتها ، وتولى دراسة النحو وتدرسه ناس أكثرهم من الأعاجم ، ممن لم يعرف العربية عن طبع ، أو سليقة ، وإنما عرفها عن طريق الوقوف على هذه القواعد ، وأخذت هذه الدراسة تضيق وتجمد ، حتى آل الأمر إلى المنظومات والأراجيز النحوية ، وإلى تشكيل المادة الواحدة بأشكال مختلفة إيهاماً بالتجديد وليست من الجديد في شيء .

## الفصل الثاني

### رجال مدرسة الكوفة النخوية

- ١ -

فمن ثم رجال مدرسة الكوفة النخوية الذين تؤرخ بهم ، والذين يرجع اليهم الفضل في إقامتها وتأسيسها ؟

أكبر الظن ان الكسائي وتلميذه الفراء هما المؤسسان الحقيقيان لهذه الدراسة ، أخذوا نحو البصرة وغيرها فيه ، ونهجا في دراسته منهجاً مستقلاً ، سار عليه المنتسبون الى هذه المدرسة .

ولكن القدماء - كما قلت - ابوا الا ان يذكروا أشخاصاً قبل الكسائي وأن ينسبوا إليهم المشاركة في إقامة هذه المدرسة بل ان يزعموا أنهم رؤساء هذه المدرسة ومؤسسيها ومن بينهم : ماذ بن مسلم الهراء وابو جعفر الرواسي (١) ولكن الدارس اذا حقق النظر تربث قليلاً قبل الإقدام الى تصديق مقالة القدماء فيها فليس لها في موسوعات كتب النحو أقوال تؤيد مقالتهم وكل ما هنالك مزاعم مطلقة ينسب اكثرها الى كوفيين والى ابي العباس ثعلب وابي بكر بن الانباري بوجه خاص ، وليس من الصعب حمل اكثر هذه المزاعم على انها من فعل العصبية والخلاف الذي كان متولداً بين البصريين والكوفيين إذ ذاك

(١) هو محمد بن سارة الرواسي : كما في تاج العروس نقلاً عن ابي عمر الزاهد

قال : منسوب الى روااس ، فبذلك من سارة ، بنوع البصرة ، وهو من مدينة كوفة .

فقد كان أبو العباس ثعلب زعيم نخاعة الكوفة ، وكان أبو العباس المبرد زعيم نخاعة  
البصرة ، وكان كل منهما رئيساً وإماماً في صناعة الأعراب وقد أحدث ذلك من  
المنافسة ما حفظه الشعر والتاريخ فلم يرض الكوفيون إلا أن يكون لهم - كما كان  
لأهل البصرة - تاريخ بعيد في صناعة الأعراب

فلنتبع مفاة القدماء فيها لعلنا نهتدى الى صواب من الرأي في أمرها :  
أما معاذ بن مسلم الهراء فقد عده القدماء من النخاعة الأولين ولاكنهم لم  
يذكروا له كتاباً في النحو بل لم يعرفوا له مصنفاً فيه (١) ولم نرو كتب النحو  
له أقوالاً نحوية ، كل ما هنالك أنه كان يؤدب أولاد عبد الملك بن مروان وليس  
في تأديبه إيهم ما يشمر بأنه من النخاعة ، فقد كان يكفي في المؤدب إذ ذاك أن يكون  
راوية شعر وأدب أو ممن له المام بالقراءات ، وليس بمستبعد أن يكون معاذ بن مسلم  
هذا من رواة الأدب والشعر ومن الملمين بقراءات القرآن وأحرفه فقد كانت  
الكوفة مهد الرواية الأدبية وموطن القراء .

وقد غلا القدماء في أمره فزعم السيوطي أنه واضع علم التصريف مستنداً  
في زعمه هذا الى ما دار بينه وبين أحد الأدباء من مقارضة شعرية ذكرها الزبيدي  
في طبقاته حول ما كان يدور بين الدارسين من مسائل نحوية وصرفية فقد كان  
هذا الأديب قد نظر في النحو فلما أحدث التصريف أنكره فقال :

قد كان أخذهم في النحو يمجيني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم  
لما سمعت كلاماً لست أفهمه كأنه زجل الغربان والبوم  
تركت نحوهم والله يعصمني من التقصم في تلك الجرائم

فاجابه معاذ بقوله :

عاجت بها أصد حتى اذا شبت ولم تحسن أباجادها

سميت من يعرفها جاهلاً يصدرها من بعد إيرادها  
وكان هذا قد جلس إلى معاذ ، فسمعه يقول لرجل : كيف تقول من تؤزغ  
أزا : يفاعل أفعل ، فقال له الأبيات السابقة . . . قال السيوطي : « قلت : ومن  
هنا لمحت أن أول من وضع التصريف : معاذ هذا » (١)

ليس في القصة ما يثبت أن معاذ هو واضع علم التصريف ، بل اعلمها تحمل  
في ثناياها دلائل الوضع والاقمال ، وذلك لأن علم التصريف لم يعرف في ذلك  
العهد ، وإنما كان جزءاً من النحو ، وكانت مسائله تمد مسائل نحوية يتوخى فيها  
النحاة ، دون تفريق بين باب وباب ، ودون إشارة إلى أن ما يتصل منها بالصرف  
من واد ، وما يتصل منها بالنحو من واد آخر ، ولم تنفصل مسائل التصريف عن  
مسائل النحو إلا بعد عصر سيبويه بزمن طويل . . . ولم يثبت أيضاً أن معاذ  
عالج مسائل الصرف كما ذكر الزبيدي والسيوطي قبل أن يعالجها المصريون ، فالناظر  
في كتاب سيبويه يجد التصريف قد اجتاز مرحلة طويلة من النمو ، مهدت له  
سبيل الاستقلال ، مما يدل على أن أصوله كانت تجري على السنة الدراسية قبل  
سيبويه .

يضاف إلى هذا أن ياقوتاً كان قد عرض لفصحة هذه الأبيات ، ولكنه  
نسبها إلى أعرابي كان يجلس إلى الكسائي لا إلى معاذ ، وكان إجمعه ما يدور في  
مجلسه من مسائل نحوية ، فلما سمعهم يتناظرون في التصريف ، لم يهتم إلى ما كانوا  
يقولون فارقهم وأنشأ يقول (٢) :

ما زال أخدم في النحو يمجيني حتى تعاطوا كلام الرجز والروم  
بفعل فمیل لا طالب من كالم كأنه زجل الفرمان واليوم  
والراجح عندنا أن اعتبار ( ف ع ل ) ميزاناً للسكيمات لم يكن ليكون إلا

(١) السيوطي : بغية الوفاة ، ص ٣٩٣ .

(٢) ياقوت : معجم الأديب ، ج ١٣ ص ١٩٣ .

بعد ظهور علم العروض وتفصيلاته ، وعلم العروض انما ينسب الى الخليل بن أحمد  
مهما تكن المصادر التي استفاد منها ، فان لم تكن هذه القصة موضوعة فليس مما  
يبتكر مثل هذه المسألة ، بل كان - في اكبر الظن - مسبوقة الى أمثالها ، ولا  
سيما إذا عرفنا أنه كان من المعمرين ، فقد ولد في أيام عبد الملك بن مروان ، وعاش  
الى أيام البرامكة ، وولد له اولاد ، واولاد اولاده ، وما توأكلهم وهو باق . (١)  
وأنه - كما يزعم بعض الباحثين - بصرى انتقل هو وابن أخيه (٢) أبو جعفر  
الرواسي الى الكوفة واذا عا فيها علم أهل البصرة . (٣)

\* \* \*

وأما أبو جعفر الرواسي : فقد ذكره أصحاب الطبقات على أنه اساذ  
المدرسة الكوفية الاول ، تلمذ له الكسائي والفراء ، وأنه أول من وضع كتاباً في  
النحو من الكوفيين كما جاء عن ثعلب .  
وذكر ابن النديم وأبو البركات بن الانباري : أن له كتباً كثيرة منها :  
كتاب الفيصل وهو الذي أشار اليه ثعلب من أنه أول كتاب في نحو الكوفة  
وكتاب التصغير وكتاب معاني القرآن ، وروى ابن النديم أنه كان يروى الى أيامه  
وكتاب الوقف والابتداء . (٤)

ويحكى أصحاب الطبقات عن أبي جعفر الرواسي أنه قال : « أرسل إلى  
الخليل بن أحمد بطلب كتابي فبعثته إليه فقرأه ووضع كتابه . (٥)

---

(١) أبو البركات بن الانباري : نزهة الألباء ، ص ٦٤ ، والسيوطي : بغية الوعاة

ص ٣٩٣ .

(٢) السيوطي : بغية الوعاة ، ص ٤٤ ، ونزهة الألباء ص ٦٥ .

(٣) طه الراوي : « نظرة في النحو » : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م ١٤

ج ٩ ، ص ٣١٧ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٩٦ ، وأبو البركات بن الانباري : نزهة الألباء

ص ٦٦ .

(٥) النزهة ص ٦٦ والبغية ص ٣٣ والفهرست ص ٩٦ .

والبصرة هي مصدر دراسته بل زعم بعضهم أنه بصري كما سبق أن أشرنا إليه ثم هاجر إلى الكوفة وأقام بها . والذي ذكره الزبيدي : أنه درس على عيسى ابن عمر ، أستاذ الخليل وسيبويه .

ولا تخلو الأخبار التي تتعلق بأستاذيته ، وقصة استفادة الخليل من كتابه من مبالغات مصدرها - فيما أظن - ذلك التنافس القوي ، وتلك الخصومة التي كانت قائمة بين المصريين منذ تمصيرها ، لاختلاف وجهتي النظر : الحزبية والسياسية فيها ، هذه الاختلافات في المسيية القبلية ، وفي وجهة النظر السياسية ، استتعات - أخيراً - بمد زوال أسبابها - إلى منافسات عامية ، تمثلت في هذه المناظرات التي كانت تمتعه بين ممثلي المصريين في مجالس الأسماء ، وفي دواوين الخلفاء ، كالذي كان بين الكسائي ، وسيبويه ، والبريدي والكسائي ، وغيره

هذا التنافس العامي - في أكبر الظن - هو الذي جعل من معاذ بن مسلم الهراء واضع علم التصريف ، ومن أبي جعفر الرواسي واضع أول كتاب في النحو وهو كتاب الفيصل الذي أفاد منه الخليل ، بل وضع كتابه عليه ، كما يزعمون ومما يؤيد أن الكوفيين هم مصدر هذه المزاعم أن البصريين لم يكونوا يرون في أبي جعفر ما كان يراه الكوفيون فيه ، بل كانوا يرونه معطر ح العلم ليس بشيء . (١)

ولعل مما يوضح منزلة الرواسي حتى عند الكوفيين أنفسهم ما كان بين الكسائي والفراء ، حين اعتزم الفراء مناظرة الكسائي ، أو مساواته بما أخذته عن أبي جعفر .

قال الفراء : « لما خرج الكسائي إلى بغداد ، قال لي الرواسي : قد خرج الكسائي ، وأنت أسن منه ( وفي « نزهة الألباء » : وأنت أمير منه ) ، فجئت إلى بغداد ، فرأيت الكسائي ، فسألته عن مسائل من مسائل الرواسي ، فاجابني

بخلاف ما عندي ، فضمنت قوماً من علماء الكوفيين كانوا معي ، فقال : مالك قد أنكرت ، لملك من أهل الكوفة ، قلت : نعم . فقال : الرواسي يقول : كذا وكذا وليس صواباً ، وسمعت العرب تقول كذا وكذا ، حتى أتى علي مسألي فلزمته . (١)

على أنني لم أقف على أقوال للرواسي تمكن الدارس من رسم صورة واضحة لمنزلة ، العامية ، بل ليس له بين أقوال الكوفيين - فيما تروى كتب النحو - إلا القليل النادر ، وهو على ندرته ليس من النحو ، وإنما هو من الحكاية والرواية كالذي حكاه من أن « فصحاء العرب ينصبون بأن واخواتها الفعل ودونهم قوم يرفعون بها ودونهم قوم يحزمون بها » (٢) ، فلا ينبغي لنا ونحن بصدد الكلام عن المدرسة الكوفية أن نتابع القدماء في اعتبار الرواسي رأس المدرسة .

وفي رأينا - كما سوف يأتي تفصيله - أن الدراسة النحوية في الكوفة إنما تبدأ بالكسائي « فهو عالم أهل الكوفة وإمامهم » وهو - في رأينا - الذي نهج بالنحو منهجاً جديداً تولاه الفراء من بعده بالرعاية ، فيها رئيساً هذه المدرسة واليهما يمزى تأسيسها ، تنظيم منهجها وبها يبدأ تاريخها .

أما قبل ذلك فالنحو بصري محض وأهل العربية سواء أكانوا في البصرة أم في الكوفة إنما أخذوا النحو من معاهد البصرة ثم انتشروا في الأمصار في الكوفة أولاً وفي بغداد ثانياً ثم في مصر والمغرب والأندلس .

وظلت البصرة وحدها تقوم بعهد هذا العمل الذي كان قرآنياً خالصاً ثم أصبح قرآنياً لغوياً ثم أصبح لغوياً خالصاً قرابة قرن من الزمان ، من منتصف القرن الأول تقريباً إلى منتصف القرن الثاني تقريباً ، فإن الكسائي - وهو أول شيوخ النحو الكوفي - توفي سنة تسع وثمانين ومائة للهجرة ولم يدرس النحو الا على

(٢) ابو البركات بن الاباري : نزهة الالباء ص ٦٥ - ٦٦

(٣) السيوطي هم الخوامع ج ٢ ص ٣

كبر كما كان الفراء يقول . (١)

فاذا أردنا أن نؤرخ لمدرسة الكوفة فينبغي أن نؤرخ للكسائي ، لأنه - فيما نذهب إليه - هو النحوي الاول « الذي رسم للكوفيين رسوماً يعملون عليها » كما قال أبو الفرج (٢) ولأنه « عالم أهل الكوفة وامامهم » كما قال السيوطي (٣) وإذا كان لا بد من النص على المصدر الاول الذي استقى منه الكسائي علمه وفتح السبيل امامه ليكون إماماً في النحو ورئيساً لمدرسة فائماً نزعهم ان الخليل بن احمد هو ذلك المصدر الذي لقن الكسائي صناعة الاعراب . وليس كثيراً على الخليل صاحب العقل المبتكر ان ينتمي اليه اعظم مدرستين للغة وقواعدها شهدها تاريخ العربية .

وعلى هذا خططت هذا الجدول وجعلت الخليل فيه مبحث مدرستين اصطفت كل واحدة منها منهجاً خاصاً ، تولى رئاسة الاولى - ييبويه - وتولى رئاسة الثانية علي بن حمزة الكسائي

ومن التحكم المحض ان يحدد زمن لبداية المدرسة ونهايتها ، لان الحركات العقلية ليست مما يؤرخ بزمن محدد ، ينص فيه على بدئه وختامه ، فاذا ظهرت فذلك يعني ان بواكيرها سبقت ظهورها الواضح ، ومهدت له ، واذا انتهت فذلك يعني ان جذورها لم تنعدم ، فلا يزال أثرها باقياً في العتول وسببها كذلك زماناً طويلاً ، حتى يختفي بطغيان حركات اخرى جديدة ، تفرض سلطانها على العقول .

وكل ما يمكن المؤرخ عمله ان يرصد سير هذه الحركات ، ويرقب أعمال رجالها العلمية الذين شاركوا في إنعائها ، وعم نقط الارتكاز التي يعتمد عليها

(١) ابو البركات بن الانباري : نزهة الآباء ص ٨٢

(٢) ابو الفرج : الاضني ج ١١ ص ١٠٢ - كسائي ٤

(٣) السيوطي : الزهر ج ٢ ص ٢٥٤



تاريخها ، والينابيع التي تستمد منها القوة والنشاط والدارس ان يجتهد فيعتبر إحدى هذه النقاط حداً تنتهي عنده ، بازياً اجتهاده هذا على ما يلحظه فيها من مزايا نقط التحول وأدوار الانتقال .

ونحن نعلم ان الكوفيين والبصريين قد اجتمعوا في بغداد ، واجتمع حولهم الطلاب ، وكان بين الشيوخ والطلاب من كلتا المدرستين اتصالات ، ومباحثات ومناظرات ، ووجد أخيراً كثير من الطلاب ، وقد جلسوا الى شيوخ المدرستين ، وأخذوا عنهم جميعاً ، فكانت هذه الظاهرة نقطة تحول او بادرة تومي الى نشأة اتجاه جديد ، فيه مزايا الاتجاهين اللذين عاشا جنباً الى جنب فترة طويلة من الزمن ، وهما يسيران في اتجاهين متباعدين ، ونشأ من هذا الاتجاه الجديد مدرسة بغداد النحوية .

فاذا سأل الدارس متى نشأت هذه المدرسة الجديدة ، فقد يطول سؤاله ، ثم لا ينتهي إلى إجابة دقيقة ، وإذا به يحاول ان يضع يده على ابرز الرجال الذين ظهرت في أعمالهم العلمية مزايا الاتجاه الجديد ، ليعتبره نقطة البداية لهذه الحركة ، غير آخذ بنظر الاعتبار اولئك الذين سبقوه ، ومهدوا له هذه السبيل ممن لم تبرز في أعمالهم مزايا المنهج الجديد ، بروزها في أعماله . . . ثم إذا به يحاول ان يضع يده على آخر الرجال الذين ظهرت في أعمالهم تلك الصفات التي رصدتها في أعمال المتعاقبين على إنشاء هذه المدرسة ظهوراً واضحاً ، ليعتبره آخر من افنهي عنده هذا الاتجاه الجديد .

فلنا إذن ان نعتبر هذا الدور الذي تلافت فيه المدرستان ، والذي تمخض عن اتجاه جديد ، فيه مزايا الاتجاهين القديمين جميعاً ، لنا ان نعتبر هذا الدور صفحة جديدة تؤذن بانتهاء حركة ، ونشوء حركة أخرى .

وابرز رجال هذا الدور : ابو العباس احمد بن يحيى كعلب ، فقد كانت قواماً على منهج مدرسته ، وطريقة شيوخه الذين اخذ عنهم وتعلم لهم : وكان

شديد التعصب له ، شديد الغيرة عليه . وكان يناقسه إمام من أئمة أهل البصرة ، شديد التعصب لمدرسته شديد الغيرة عليها ايضاً وهو ابو العباس محمد بن يزيد المبرد .

وكان بين هذين الامامين مجالس ومناظرات ، كالتى حدثت بينها في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر حول بيت امرئ القيس :

له متذنان خطاتا كما أكب على ساعديه النمر (١)

وكان بين تلاميذها مساءلات ومجادلات ، وكان من اثر ذلك ان انحاز بعض تلاميذ ثعلب الى جماعة المبرد كأبي اسحاق الزجاج الذى كان من خاصة اصحاب ثعلب ، فقد أرسله ثعلب لينظر المبرد ويسكته ، ففصر حلقة المبرد ، وأستأذنه في المناقشة فأذن له ، وسأله عن مسائل اجاب عنها المبرد بما اقدمه فأعجب به ولزمه . (٢)

وحكى ابو البركات بن الانباري عن الزجاج انه قال : « لما قدم المبرد بغداد جعلت لاناظره وكنت اقرأ على ابي العباس ثعلب فهزمت على إعناقه فاما فاتحته الجني بالحجة وطالبني بالعادة وأزمنى إزامات لم اهتد اليها فتميمت فضاه واسترجعت عقله واخذت في ملازمته » (٣)

وكأبى علي احمد بن جعفر الدينوري المصري ختن ابي العباس ثعلب زوج ابنته ، فقد كان الدينوري يخرج من منزل ثعلب فيتخطى أصعابه ومعه محبرته ودفتره فيقرأ كتاب سيديويه على ابي العباس المبرد فكان يماثبه احمد بن يحيى ثعلب على ذلك ويقول ، إذا رأك الناس مضى الى هذا الرجل ، وتقرأ عليه ،

---

( ١ ) : أنظرة الاوحد رقم ٥٤ من النسخة المصورة لجالس النحويين والنحاة . والاشباه والنظائر لسيوطي ج ٣ ص ( ٢١ ) وطبقات النحويين للزبيدي - المبرد . ٠٠ خطا لخطوا كسمو : ا كمنز .

( ٢ ) : الزبيدي : طبقات النحوية - « المبرة » .

( ٣ ) : ابو بركات بن الانباري : نزهة الألباء ص ٢٩٠ .

يقولون ماذا؟ فلم يكن ليقلت الى قوله « (١) » .

وكان لأبي العباس ثلث تلاميذ كثيرين ، منهم : أبو موسى الحامض ،  
وأبو الحسن بن كيسان ، وإبراهيم بن عرفة نفلويه ، وعلي بن سليمان الاخش  
العصفير ، وأبو بكر بن الانباري ، ولكن أكثرهم كانوا يخلطون المذهبين - كما  
قيل عنهم - لأنهم أخذوا عنه وعن بصريين ، وهم الاربعة الأوتون ، وهؤلاء  
الاربعة - اذا كانوا يخلطون المذهبين - لا يمدون من رجال المدرسة الكوفية  
وإن تاملوا ثعلب ، وأخذوا عنه ، ولا يمدون من رجال المدرسة البصرية ،  
وإن أخذوا عن بصريين ، فأما هم رجال مدرسة جديدة نشأت في بغداد عن تلاق  
المدرستين فيها ، ونهجوا نهجاً جديداً ، انبنى على الانتخاب من اصول المذهبين ،  
والتوفيق بين منهجي المدرستين .

ولم ينشأ من أصحاب أبي العباس ثلث من آمن بمنهجه فكان قواماً  
عليه من بعده ، أما أبو بكر بن الانباري فبالرغم مما قيل فيه : « إنه كان أعلم  
الناس ، وأفضلهم في نحو الكوفيين » (٢) - ليس من الذين يصلحون لإمامة  
الناس في النحو كأبي العباس ثلث ، ومن سبقه من أئمة أهل الكوفة ، ولم يكن  
بشيء ، حتى عند القدماء أنفسهم ، فقد نقل السيوطي عن أبي الطيب اللغوي -  
وقد عرض لأبي بكر بن الانباري ، ومن روى عنه - أنه قال : « أن هؤلاء رواة  
أصحاب أرقام لا يذكرون مع من ذكرنا » (٣) ، يعني أئمة الكوفيين الذين  
ختموا بأبي العباس ثلث .

وقد اختلط الأمر على القدماء ، فتجاوزوا ثعلباً ، وذكروا من أصحابه  
نحويين ، على أنهم متموزلرجال المدرسة الكوفية ، ولعلهم بنوا رأيهم في هؤلاء

( ١ ) طبقات الزبيدي - « ثلث » « الدينوري » .

( ٢ ) نزهة الألباء ، ص ٣٣٠ .

( ٣ ) المزهر ج ٣ ص ٢٥٩ .

على مجرد الأخذ عن كوفيين ، غير ناظرين الى آثار شيوخ آخرين لا ينتسبون الى  
المدرسة الكوفية ، كما فعل الزبيدي في طبقاته ، فقد صنف نجاة الكوفة ست  
طبقات :

جمل في الطبقة الأولى : الرواسي ، ومعاذ بن مسلم الهراء ، و ابا مسلم مؤدب  
عند الملك بن مروان

وجمل في الثانية : علي بن حمزة الكسائي .

وجمل في الثالثة : أصحاب الكدا أئى وهم : يحيى بن زياد الفراء ، والقاسم

بن معن ، وعلى بن المبارك الاحمر ، وهشام بن معاوية الضرير ، وسالمويه ،  
واسحاق البغوي ، و ابا مسحل بن حريش ، وقتيبة النحوى .

وجمل في الرابعة : اصحاب الفراء . وهم : سلمة بن عاصم ، و ابو عبدالله

الطوال ومحمد بن قادم ، وأحمد بن قادم : ومحمد بن سعدان ، ومحمد بن حبيب .

وجمل في الخامسة : أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً .

وجمل في السادسة : أصحاب ثعلب ، وهم : هارون بن الحائل ، و ابن عبد

العزيز الأوارجي ، وأبو موسى الحامض ، وأحمد بن عبيد ، ومحمد بن أحمد بن

كيسان ، وأبو بكر بن الانبارى ، ومحمد بن عرفة نفظويه .

أما ابن النديم فذكر في فهرسه رجال المدرسة الكوفية ، ولكنه لم

يصنفهم طبقات ، وجمل أبا جعفر الرواسي أولهم ، وأبا بكر بن الانبارى ، وأبا

عمر الزاهد ، ناعيندى ثعلب ، آخرهم .

ومع ذلك فابن النديم أدق تبويهاً لطبقات الكوفيين من الزبيدي ، لأن

الزبيدي ذكر اصحاب ثعلب في طبقه كوفية خاصة ، بعد طبقة ثعلب ، وفيهم

كثيرون ممن خلط المذهبين ، ممن لا يصح نسبتهم الى المدرسة الكوفية ، على

انه ما لبث ان ذكر هؤلاء الذين نشير اليهم في جملة النجاة ، الذين خلطوا المذهبين

كما فعل مع ابن كيسان ، ونفظويه ، و ابا موسى الحامض .

على اننا محمد لأبي الطيب اللغوي دقة نظره ، وصواب رأيه في تاريخ هذه المدرسة فقد أرخ لنهايتها بأبي المباح ثعلب ، وأبي يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت ، غير فانظر الى من جاء بعد ثعلب من أصحاب وتلاميذ ، كانوا قد نهجوا منهجاً كوفياً ، كأبي بكر بن الانباري وغيره . لأنهم في نظره رواة ، واصحاب أشعار . (١)

وليس كل هؤلاء المدونة أسماءهم في الجدول من النحاة ، فكثير منهم كان ممن عني بالرواية اللغوية أكثر مما عني بالبحث في علل التأليف ، تذكر منهم اللحياني ، وابن الاعرابي وابن السكيت أما اللحياني فهو صاحب الكسائي . وكان ممن لقي العلماء من المصريين ، والفصحاء من الأعراب وله نوادر ، وحكايات . وسنعرض له حين نعرض لأصحاب الكسائي .

وأما ابن الاعرابي فهو أبو عبدالله محمد بن زياد الاعرابي من أصحاب الكسائي . أخذ عنه وعن المنفل الضبي والقاسم بن معن ، وروى عن جماعة من فصحاء الاعراب (٢) وكان كثير الحفظ حتى إن أبا العباس ثعلباً لزمه بضع عشرة سنة لم ير بيده كتاباً قط ، وأنه أملى على الناس ما يحتمل على أجمال (٣) وكان احفظ الناس للغات والايام والانساب (٤) وذكر ابن النديم كتباً كثيرة منها : كتاب الانواء ، وكتاب صفة النخيل ، وكتاب النبات ، وكتاب لسب الخليل ، وغيرها وكلها - كما تدل عليه أسماءها - في اللغة لا في النحو .

وأما ابن السكيت فهو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت . كان أبوه اسحاق صاحب الكسائي وكان هو صاحب الفراء<sup>٥</sup> وكان يؤدب الصبيان في بغداد

(١) السيوطي : الزهر ج ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) نزهة الألباء ص ٢٠٨ .

« راقبل على تعلم النحو من البصريين ، والسكوفيين فأخذ عن أبي عمرو الشيباني والقرائ والابن الاعرابي وغيرهم . وروى عن الاصمعي وأبي عبيدة وأخذ عنه أبو ابوسميد السكري وأبو بكرمة الضبي » . (١)

وعهد اليه المتوكل بتأديب ولده ، وكان ابن السكيت معروفاً تشيعه ونعصبه لعلمى بن أبي طالب فكان في ذلك نهايته على يد المتوكل . وكتبه التي وصلت إلينا إنما هي كتب لغة لا كتب نحو كاصلاح المنطق الذي قال فيه المبرد : « ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب يعقوب بن السكيت في المنطق » (٢) وكتاب مختصر تهذيب الالفاظ طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٧ م .

وبالرغم من أن القدماء عدوه من النحاة وقالوا عنه : إنه كان عالماً بالعربية واللغة والشعر ، أو أنه أقبل على تعلم النحو من البصريين والسكوفيين ، أو أنه كان عالماً بالقرآن ونحو الكوفيين (٣) ، فليس نحوه بشيء .

والمناظرات بينه وبين بعض البصريين ، كالتى حدثت بينه وبين أبي عمارة المازني في مجلس محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ، وسؤال الأخير إياه عن وزن ( نكتل ) في قوله تعالى : « فأرسل معنا أخانا نكتل » وعن علة جزمه ، وتلده في الاجابة ، وما علل به المازني تباطؤه وتردده في سؤاله بقوله : « كرهت أن أتجهمه بالسؤال لعلمي بضعبه في النحو » . (٤)

ثم ما روى أن ثعلباً قال : « دخلت على يعقوب بن السكيت وهو يعمل بعض كتبه فسألني عن شيء في الاعراب فتكلمت فيه فلم يقم له فهمه فصحت

(١) معجم الادباء ، ج ٢٠ ص ٥٠ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٣٧٤ ترجمة الالباء ص ٢٤٠ .

(٣) معجم الادباء ج ٢٠ ص ٥٠ .

(٤) انظر اللوحة رقم ١١١ من مجالس اللغويين والنحاة (نسخة شهيد علي باستانبول

الاشباه والنظائر ج ٣ ص ٣٤ .

فقال : لا تصح ، فأنا أريد أن أعلم : باستحييت . (١)  
كل أولئك شواهد على ضعفه في النحو تحول دون أن يهشر في زمرة  
أئمة النحو من الكوفيين الذين ستحدث عنهم .  
ولا بن السكيت أقوال ذكرها النحاة في كتبهم اتصل باللفظة لا بالنحو .  
وندره أقواله في النحو تؤيد رأي النازني ، وقول ثعلب فيه ، ولا نسمح لنا  
بوضعه في صفوف الأئمة الذين كان لهم أثر في صناعة الأعراب ، ولا ينفارته  
بأبي العباس ثعلب ، كما وهم السيوطي بقوله : « وانتهى علم الكوفيين الى أبي  
يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت ، وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب » ، وان  
صرح بعد قليل بأن ثعلباً أعلم الرجلين بالنحو (٢) لان المقاضاة بين الرجلين في  
النحو ليست بذات موضوع .

\* \* \*

وفي هذا الجدول ثبت بأسماء رجال المدرسة الكوفية شيوخاً وطلاباً  
ولغويين ونحويين وهم - كما يتضح من التخطيط - بدءوا بالكسائي ، وختموا  
بثعلب .

أما أصحاب ثعلب الذين ذيلنا اسمهم بأسمائهم فليسوا جميعاً كوفيين بل أكثرهم  
ينتمون إلى مدرسة جديدة هي مدرسة بغداد ، وهي المدرسة الانتحائية التي قامت  
على خلع المنهجين من المدرسين البصرية وال كوفية لانهم أخذوا عن بصريين  
وكوفيين ، وتأثروا بهؤلاء وهؤلاء ، ولا نستثنى منهم الا أبا بكر بن الانباري الذي  
ترسم خطي الكوفيين وتأثر أستاذه أبا العباس ، وعرف بتدريسه لمدرسته ونقوله  
الكثيرة عن شيوخها .

وبناء على هذا الاعتبار تكون مدرسة الكوفة قد استمرت قرابة قرن

(١) الفظي انباء لرواه ، ج ١ ص ١٤٨ .

(٢) السيوطي : الزهر ج ٢ ص ٢٥٨ .

ونصف قرن من الزمان أي من منتصف القرن الثاني تقريباً الى أواخر القرن الثالث تقريباً .

ويتفق هذا مع ما ذهب إليه « ماسنيون » فهو يرى أن شأن الكوفة قد زال وانحطت مكانتها في أوائل القرن الرابع الهجري . (١)

أما ما اعتمده دائرة المعارف الاسلامية في نهاية الكوفة مما ذكره ابن جبير من أنه زارها في القرن الخامس او في عام ٤٦٥ للهجرة فوجد الجدران القديمة قد انهدت وبدأت في السكوفة أمارات الانحطاط واصبحت في عالم النسيان (٢) فليس بينه وبين ما ذهب اليه ماسنيون من تعارض فاسنيون يتحدث عن كيانها العامي ودائرة المعارف الاسلامية تتحدث عن كيانها المادي .

أما الأئمة الذين كان لهم اثر في إقامة هذه المدرسة وإنعائها فهم ثلاثة ، هم أساتذتها ومرجع طلابها ، وهم : علي بن حمزة الكسائي ، ويحيى بن زياد الفراء ، وأحمد بن يحيى ثعلب .

هؤلاء الثلاثة هم الذين بدت بهم المدرسة ، وخنمت ، وعلى أقوالهم تأسست المدرسة ، ونمت ، وتخرج فيها الطلاب الذين نسبناهم في الجدول إليها . واكثر ما روي في كتب النحو من آراء وأقوال إنما هو لهؤلاء الأئمة الثلاثة . أما من سواهم فهم إما اصحاب الكسائي او اصحاب الفراء أو اصحاب ثعلب وأقوالهم المرهوبة قليلة ، لا تعين على رسم صورة واضحة ، ولا تمثل وجهة نظر مستقلة ، فأصحاب الكسائي يرددون أقوال الكسائي ، وقليل ما هم اولئك الذين لهم آراء خاصة ، كهشام بن معاوية الضرير واصحاب الفراء إنما هم حملة أقواله ، وحفظة مذهبه ، واصحاب ثعلب كانوا ممن خلط المذهبين ، فهم ليسوا من رجال هذه المدرسة التي هي موضوع هذه الرحالة .

(١) ماسنيون : مخطوط الكوفة ( صيدا ) ص ١٦ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية - الكوفة .

وساقصر عليهم الحديث في هذه الرسالة في أثناء التحدث عن رجال المدرسة الكوفية ، وإذا عرضت لتلاميذهم فأما عرض لهم باعتبار أنهم تنمة للصورة التي أحاول جاهداً رسمها لهم ، فربما ضاع من اقوالهم شيء فأت القدماء أن يشروا عليه ، فإذا استطعت الامام باقوال هؤلاء التلاميذ أكون قد وفقت للمشور حتى ما فقدوه أو بفضه ، لأن التلاميذ كانوا قد لازموا وتربوا خطائهم وحفظوا لنا شيئاً من اقوالهم وآرائهم ، فما يجري على السنتهم إنما هو - في أكثر الاحيان - لشيوخهم أو أقرب ما يكون لاقوال شيوخهم .

\* \* \*

وما قلته من ان المدرسة الكوفية قد انتهت بأبي العباس ثعلب لا يعني أنها قد زالت فلم يعد لها اثر ، فقد قلت أيضاً : إنه اذا انتهت فذلك لا يعني ان جذورها تقطعت بانتهائها فلا يزال أثرها باقياً في العقول وسيبقى كذلك زمناً طويلاً . وقد بقيت مدرسة الكوفة فعلاً ثعالب مدرسة البصرة التي كتب لها النصر على الايام بعناصر كوفية قوية كان لها اثر في اعادة الحياة اليها ولغواى حين ، لأنها عناصر فرضت نفسها على الايام فرضاً .

ومن هؤلاء : اللغوي المعروف احمد بن فارس بن زكرياه صاحب «المجمل» في اللغة والصاحبي في فقه اللغة ولم يذكر المزجمون له كتباً في النحو الا «مقدمة في النحو» ولا اعلم أنها موجودة وكتاب «اختلاف النحويين» ولا أحسب الا أنه كان قد عرض فيه لما عرض له اصحاب المصنفات في مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين .

وله في كتاب «الصاحبي» الذي ألفه للوزير الصاحب بن عباد وقد نلعت له هذا فصل في حروف المعاني (١) وهي الادوات التي تكلم فيها النحويون وكان لكل من المدرستين رأي خاص فيها وهو في هذا الفصل وغيره من الفصول

الآخري التي يعرض فيها المسائل نحووية بنحو منحى الكوفيين ، فهو إذن كوفي المذهب لأنه يستعمل مصطلحات الكوفيين وعباراتهم ، كالخفض والخافض والمنخفض وكالفسق والناسق وينسق . كقوله : «والكوفيون لا ينسقون ببل إلا بهدفي» (١) وقوله « فتخرج بذلك من أن تكون ناسقة فعلا على اسم » (٢) إلى غير ذلك .

يضاف إلى هذا أنه كثير الرواية عن الكوفيين كالإسكافي وهشام والفراء وعلب ، بل هو ممتد على أقوالهم في هذه الحروف ، ولا يعرض لآراء البصريين فيهن إلا إذا كان لهم رأي خاص كحكايته عن الخليل : أن معنى (لن) : لا أن (٣) أو الرد عليهم ، كما فعل مع الزجاج الذي عاب على الفراء قوله : « إن كم : ( ما ) وصلت من أوها بكاف » وأورد عليه بأنه « لو كانت في الأصل : ( كما ) وأسقطت ألف الاستفهام لتركت على فتحها كما تقول : بم وعم وفيم أنت » فقد أجاب ابن فارس عما قاله الزجاج بما ذكره أبو زكرياء ، وهو كثرة الاستعمال .

ويؤيد كوفية ابن فارس أيضاً أن له كتاباً في ( الانتصار لعلب ) ويخيل إلي أنه كان رداً على رسالة الزجاج في « الرد على فصيح لعلب » . وأن ياقوتاً يقول فيه : إنه أخذ علي ابى بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية لعلب (٤) .

وأن بعض من ترجم له يقول : ( كان نحوياً على طريقة الكوفيين ) (٥)

\* \* \*

ومن هؤلاء : أبو الطيب المتنبى فقد كان كوفي المذهب « وكانت كوفيته مبعث كثير من النقدرات والمآخذ التي أخذها عليه شراح ديوانه ، وفي ديوانه أمثلة

(١) الصاحبي ص ١١٧

(٢) الصاحبي ص ٨٩

(٣) الصاحبي ص ١٣٦

(٤) معجم الأدباء ج ٤ ص ٨٢

(٥) بغيه الوعاة ص ١٥٣ - روضات الجنات ص ٦٤

كثيرة ، تستعصى على المدء ، ذهب فيها مذهب الكوفيين ، ولعلني لم أكن دقيق  
التعبير إذ قلت : إنه ذهب مذهب الكوفيين ، لأنه أحد أئمتهم الذين درسوا  
النحو وفقاً للمنهج الذي رسمه الكوفيون الأولون ، وطبق هذا المنهج في قصائده  
تطبيقاً عملياً .

ولأبي الطيب معرفة واسعة بالأدب وعلم العربية ، وقد لقي أصحاب المبرد  
فقرأ على النابهن منهم ، كأبي إسحاق الزجاج ، وأبي بكر بن السراج ، وأبي الحسن  
الأخفش ، ثم لقي أصحاب ثعلب ، فقرأ على أبي موسى الحامض ، وأبي عمر  
الزاهد (١) وأكثر من النظر في النحو الكوفي ، فحفظ كتاب الحدود (٢)  
وهو كتاب للفراء لم يصل إلينا ، ولكن ابن النديم كان قد عرض له وذكر  
محتوياته ، وهي موضوعات نحوية خالصة ، وكان ثعلب قد أملاه على أصحابه .  
وكان له مع نخاعة عصره كاتب خالويه ، وأبي الفتح بن جني مجادلان تؤيد  
أنه كان مامماً بهذه الصناعة ، طويل الباع فيها .

ولاريب أنه أكثر من الأخذ عن أصحاب ثعلب حتى غلب عليه مذهب  
الكوفيين ، وظهر تأثره بمذهبهم فيما سنورد هنا من أمثلة ، وفيما قصر المجال عن  
إيراده ، وفيما ذكره ابن يمش ، حين عرض لحذف حرف النداء ، فقد قال : «  
أجاز قوم من الكوفيين : هذا أقبل ... على إرادة النداء ، وتلقوا له بقوله  
تعالى : « ثم أنتم - هؤلاء - تقتلون أنفسكم » . قالوا والمراد : يا هؤلاء . وقد  
عمل به المتذي في قوله :

« هدى : برزت لنا فهجت رسيدنا »

(١) بطرس البستاني في مقدمته لشرح ديوان المتنبي .

(٢) كتاب الاستدراك في الأخذ على المأخذ الكندية ، لصاحب المثل السائر

مخطوط بدار الكتب ، رقمه ٧٩٣٣ ص ٤ .

وكان يعيل كثيراً إلى مذهب الكوفيين . (١)  
فهو إذ نظم الشعر كان يريد إلى تطبيق أصول هذه الصناعة فيه ، وكان  
يفكر في تأييد المذهب الكوفي فيها .  
وفي المتناول ديوانه ، وفيه من الأمثلة ما يفنى عن تأكيد القول بكوفيته ،  
فقد قال :

جملت إليه من لسانى حديقة سقاها الحجبى سقى الرياض السحاب  
فقد فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ، وهو ما جوزه الكوفيون  
لضرورة الشعر . (٢)  
وقال :

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم وألف إذا ما جمعت واحد فرد  
فقد عطف ( بنوه ) على الضمير المستتر في ( مضى ) بلا تأكيد بالضمير  
المنفصل . ومثله قوله :

يباعدن حبا يجتمعن ووصاله فكيف بحب يجتمعن وصدده  
عطف ( واصله ) على الضمير المتصل المرفوع ، وهو النون في ( يجتمعن ) ،  
وعطف ( صدده ) على النون في ( يجتمعن ) ، ولم يفصل بالتأكيد في الموضعين ،  
وقد أجاز الكوفيون ، ومن وافقهم ذلك . (٣)  
وقال :

توقه فمتى ما شئت تبلوه فكن معاديه أو كن له نشبا  
أراد : أن تبلوه ، فحذف ، وأعمل ، ومثله قوله :  
وقبل يرى من جوده ما رأيتہ ويسمع فيه ما سمعت من العذل

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ، ج ٢ ، ص ١٦ .  
(٢) أبو البركات بن الأباري : الانصاف في مسائل الخلاف « مسألة ٦٠ » .  
(٣) شرح الاشموني ، ج ٣ ، ص ٣١٩ .

قال شارح ديوانه في « التبيان » : « أراد : قبل أن يرى ، فحذفها ، وأعملها ، على رواية من روى ويسمى بالنصب ، وهو مذهبه ، لأنه كوفي » . (١)  
والأمثلة التي طبق بها مذهبه في النحو كثيرة ، كانت مدعاة لنقدات كان يزجيهما أتباع المدرسة البصرية ، ولذلك انبرى للدفاع عنه شارح ديوانه في « التبيان على شرح الديوان » ، ودفع ما كان يورده هؤلاء . على أقواله ، لأنه ذهب فيها مذهباً كوفياً ، فلا وجه لتغليطه فيها .

\* \* \*

هذه المدرسة التي استمرت قرناً ونصف قرن تقريباً ، وضمت إليها اساتذة ، وطلاباً كثيرين وان استطاعت أن ترسم لنفسها منهجاً جديداً ، يخالف منهج أهل البصرة ، وأن تفرض هذا المنهج على دارسي العربية في بغداد ، وأن تراحم البصريين أصحاب هذه الصناعة الأولين ، هذه المدرسة كان المنتظر أن يحفظ التاريخ لها مصنفات رجالها ، وآثارهم ، وسجلات أعمالهم ، لأنها نشأت في عهد كان التدوين فيه معروفاً في البيئات الدراسية ، وكان الدارسون يتبارون في مذوناتهم ، سواء أكانت من سردياتهم أم من أعمالهم ، ولكن أكثر ما املوه ضاع ، ولم يصل إلينا ، لأنهم لم يحفظوه في كتب إلا قليلاً ، وكانوا يملون على طلابهم إملاء ، وكان الاعتماد على الإملاء والحفظ من أبرز خصائص رجال هذه المدرسة .

يؤيد هذا ما روي أن أبا بكر بن الأنباري « مرض ، فعاده أصحابه ، فرأوا من انزعاج والده أمراً عظيماً ، فطيبوا نفسه ، فقال : كيف لا انزعج ، وهو يحفظ جميع ماترون !! وأشار إلى خزانة مملوءة كتباً » . (٢)

(١) التبيان في شرح الديوان ج ٢ ص ٤٨ « الدافية » .

(٢) معجم الادباء ج ٨ ص ٣٠٧ .

وربما كان لعلماء بغداد الذين جلسوا إلى شيوخ المصريين ، وحملوا عنهم  
جميعاً ، ودونوا ما حملوه - الفضل في حفظ كثير من أقوالهم التي بين أيدينا .  
ولم يصل إلينا من كتب الكوفيين إلا القليل ، ومنه : « معاني القرآن »  
للغراء ، ومنه مجالس ثعلب ، وليست هذه المجالس في النحو خاصة ، وإنما هي  
« مجالس أملاها على أصحابه في مجالسه . تحتوي على قطعة من النحو ، واللغة ،

والأخبار ، ومعاني القرآن ، والشعر ، مما سمع ، وتكلم عليه » . (١)

وهناك كتب لتأخرين ، بعضها لأتباع المدرسة البصرية ، حفظت لنا  
كثيراً من أقوالهم ، ولمواضع الخلاف بين آراء البصريين وآرائهم ، وطرق  
الاحتجاج لها ، والاستدلال عليها .

فمن الكتب الكوفية : كتاب « التبيان في شرح الديوان » . وصاحب  
هذا الكتاب نحوي على المذهب الكوفي . وكان يصرح هو بهذا في مواضع  
كثيرة من كتابه ، كما جاء في إعراب بيت المتنبي :

فمن أسلمن دما مقلتي وعذبن قلبي بطول الصدود

فقد قال : « دما مفعول ثان ، وقيل بل هو تمييز مقدم ، وهذا جائز عندنا ،  
وعند المازني من البصريين ، ومنه باقيهم ، كقولك : نصب عرقاً زيد ، يجوز  
تقديمه إذا كان المامل فيه فعلاً متصرفاً » . (٢)

كما جاء في إعراب قوله :

وحمدان حمدون ، وحمدون حارث وحارث لقمان ولقمان راشد

فقد قال : « ترك صرف حمدون ، وحارث ضرورة . وهو جائز عندنا ،

غير جائز عند البصريين » . (٣)

(١) فهرست ابن النديم ص ٩٩١ .

(٢) التبيان في شرح الديوان . ج ١ ص ٥٨ (السلفية) .

(٣) التبيان في شرح الديوان . ج ١ ص ١٧٣ .

ومن الكتب الكوفية : المقدمة المروفة المشهورة بالآجر ومية لمحمد بن محمد بن داود الصنهاجي ، المعروف بابن آجر وم المتوفى سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة ، وهي مختصر في النحو الكوفي « لأنه غير بالخلف ، وهو عبارتهم وقال : الاسر مجزوم وهو ظاهر في انه معرب ، وهو رأيهم ، وذكر في الجوازم : كيفما والجزم بها رأيهم وانكره البصريون » (١)

وذكر أن النواصب عشرة وعد منها : لام كي ولام الجمود وحتى وأو والفاء والواو ، وليست هذه الأدوات هي الناصبة عند البصريين ، وإنما التصب بأن مقدرة بعدها .

وعليه فلا وجه لما ذكره بعض الباحثين من أن أمهات المذاهب النحوية أربع ، وأصول تلك الامهات اثنان : البصرية والكوفية ، « أما مذهب البغدادي فرجه الكوفة ، ومذهب الأندلسية يرجع الى البصرة » . (٢)

لأن النحو البغدادي - كما ذكروا - يقوم على الخلط بين المذهبين ، والنحو الأندلسي ، ممثلا في كتب وصلت اليها ، بعضه يميل الى التوفيق بين المذهبين ، كـنحو ابن مالك ، وبعضه يذهب مذهب الكوفيين ، كالنحو الممثل في مقدمة ابن آجروم ، وبعضه يميل الى اصطناع مذهب جديد ، لاهو كوفي ، ولا هو بصرى ، وهو الممثل في كتاب « الرد على النحاة » لابن مضاء القرطبي . ولا يعني هذا ألا يكون من أعتهم من كان يذهب مذهب البصريين .

\* \* \*

ومن الكتب غير الكوفية : كتاب « الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » لأبي البركات بن الانباري .

(١) السبوطي بقية الوعاة : ص ١٠٢

(٢) - نظرة في النحو - : طه الراوي : مجلة الجمع العلمي بدمشق م ١٤ ج ١ ص ١٦٩ .

حوى هذا الكتاب مائة مسألة وإحدى وعشرين مسألة، اختلف فيها البصريون ، والكوفيون ، تتعلق المسألة الأولى باشتقاق « الاسم » ، أهو مشتق من السمو - كما قال البصريون - أم من الوسم كما قال الكوفيون ؟ . وتعلق المسألة الحادية والعشرون بمد المائة وهي آخر مسائل الكتاب - برّب ، أهى اسم كما قال الكوفيون أم حرف جر كما قال البصريون ؟

وكان ابن الأنبارى يفتصر في كتابه للبصريين على الكوفيين إلا فى أحوال نادرة . وإن قال فى مقدمته : « اعتمدت فى النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الانصاف لا التعصب والاسراف » .

\* \* \*

ومن الكتب غير الكوفية : كتاب لأبى البقاء العبكرى المتوفى سنة ست عشرة وست مائة للهجرة ، وهو : « املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات فى جميع القرآن » .

وكتاب آخر له هو : « المسائل الخلافية » ومئة نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقمها : « ٢٨ ش نحو » .

أما الكتاب الأول فهو فى إعراب القرآن . . وأما الكتاب الثانى فقد عرض لبعض المسائل التى اختلف فيها البصريون والكوفيون ، وهو غير الكتاب المعروف بالتبيين الذى ألف على غرار كتاب الانصاف فى مسائل الخلاف .

وأبو البقاء العبكرى فى هذين الكتابين نحوى على المذهب البصرى ، لأنه فى الكتاب الأول : يستعمل اصطلاحات البصريين ويكثر من الاستشهاد بأقوال أئمة البصريين ، ويعتمد على آرائهم ويعرض لآراء الكوفيين ، ويغلطها كثيراً فى كتابه ويستند فى تدعيم رأيه إلى آراء بصرية معروفة ، ويعرض لقراءات كثيرة ويصفها بالشذوذ .

ولأنه في الكتاب الثاني يصرح بأنه من اتباع المدرسة البصرية فقد ذكر  
- حين عرض لاشتقاق « الاسم » - أن الاسم مشتق من السمو عند البصريين ومن  
الوسم عند الكوفيين ، ثم قال : « فالمحذوف عندنا لأمه وعندهم فأوه » . (١)  
وقد صرح بذلك أيضاً حين عرض للخلاف بين الفريقين في بناء « فعل  
الأم » وإعرابه فقال : « مسألة فعل الأم مبنى نحو قم واضرب وقال الكوفيون :  
هو معرب بالجزم . لنا أنه لفظ لا يفرق بإعرابه بين معنى ومعنى فلم يكن معرباً  
كالجرف » . (٢)

وعلى هذا فنحن نؤيد بعض الباحثين (٣) في إبطاله نسبة « كتاب  
التبيان في شرح الديوان » الى المكبري لأن شارح الديوان كوفي في نحوه وقد  
أثبت كوفيته فيما عرضت له - قبل هذا الكلام - من أمثلة وأقوال له فلا يمكن  
أن يكون هو المكبري .

\* \* \*

وأخيراً ، وفي مطلع هذا القرن ظهرت محاولة لأحد علماء القرن الرابع  
عشر الهجري ، وهو أبو طلحة عبد القادر صدر الدين بن عبد الله بن عبد القادر  
الكنفراوى الأصل ، الاستانبولى الحنفى ، عضو مجلس المعارف بالأستانة ، وأستاذ  
حكمة التشريع فى جامعته .

فقد جمع آراء الكوفيين ، وأقوالهم مما دونته كتب النحو المختلفة ، وصنفها  
أبواباً ، وموضوعات ، على غرار كتب النحو المعروفة ، وسماه . « الموفى فى  
النحو الكوفى » . . . واستهل كتابه بقوله : « نحمدك يا اللهم على هدايتك الى  
الصواب » . . . وقال فى مقدمته : « أما بعد ، فهذا كتاب نحو ، وضعته على

(١) المسائل الخلافية : ص ٩٥ ( ٢٨ ش نحو ) .

(٢) المسائل الخلافية : ص ١٠٧ ( ٢٨ ش نحو ) .

(٣) هو الدكتور مصطفى جواد ، الاستاذ بدار المعلمين العالية ببغداد وقد نشر

بجته فى مجلة المجمع العلمى بدمشق . ( ج ١ ، ص ٤٦ ، م ٢٢ )

مذهب الأئمة الكوفيين ومصطلحاتهم ، إذ وجدتها أهملت ، وهي تحتاج إلى النظر والتبصر من أهل التأويل ، والفقهاء ، والعلماء ، ويبنى عليها ويصور من القراءات والروايات المتحصلة عن الفصحاء والبلغاء ، فجمعتها في غضون كتاب ، من كتب كثيرة اطلعت عليها ، ورتبتها على ترتيب كتب المتأخرين ، وسميتها . « الموفى في النحو الكوفى » . « ١ »

\* \* \*

وبينما كان احد الكوفيين على ما وصفت إذ كان البصريون قد ملئوا المجلدات الضخام بأقوالهم ، وأقوال شيوخهم ، والخزائن بموسماتهم ومثونهم ورسائلهم .

( ٢ )

## على بن حمزة الكسائي

زعموا أن جماعة من أهل الفضل جلسوا يتحدثون ، وإذا برجل كان قد ألف جماعتهم ، ومجالستهم ، جاء وقد أعيا من التعب ، فقال لهم . أعيت فقالوا له : أنجالسنا وأنت تلحن ؟ فقال : كيف لحنت ؟ قالوا : إن كنت أردت من انقطاع الحياة والتعب في الأسر فقل : عيت ( مخففا ) ، وإن كنت أردت من التعب فقل . أعيت . ( ٢ )

---

« ١ » الموفى في النحو الكوفى - المقدمة . . . وقد طبع هذا الكتاب أخيراً

بمطبعة الترقى بدمشق ١٣٧٠ = ١٩٥٠ م . وعلق عليه الاستاذ محمد بهجة البيطار

عضو المجمع العلمى العربى بدمشق .

( ٢ ) ياقوت : معجم الإباء ج ١٣ ص ١٦٨ . أبو البركات بن الانبارى : نزهة

الإباء ص ٨٢ - ٨٣ .

وصرت الأيام والرجل يتنقل بين حلقات الدرس ، ويجلس إلى شيوخ العربية في الكوفة ، وقد برز فيها إذ ذاك ، معاذ بن مسلم الهراء ، وأبو جعفر الرواسي ، حتى استوفى ما عندهما ، وكان قد سمع عن البصرة ومعاهدتها ، وعن أستاذ العربية فيها ، أعنى الخليل بن أحمد الفراهيدي ، فشد إليه الرحال ، ليأخذ عنه العربية .

واستغرب الجالسون إلى الخليل أن يقصد الكسائي إلى البصرة يطلب لغات الأعراب فيها ، وفي الكوفة بنو تميم ، وبنو أسد ، وعندهم الفصاحة . ولكنه جلس إلى الخليل مبهوراً بما سمع منه ، ولم يلتفت إلى هؤلاء بجواب ، ثم تقدم إلى الخليل يسأله عن مصادر علمه هذا . فقال له الخليل : بوادي الحجاز ونجد وتهامة . فخرج إلى البوادي يتنقل بين أعرابها ، يسمع منهم ويدون ما يسمعه من لغات حتى اجتمع له مما دون شي ، كثير ، وحتى قال المؤرخون : إنه أنفق في كتابة ما سمع خمس عشرة قنينة حبر سوى ما حفظ . ﴿٢٥﴾

وصر على ترحاله إلى البوادي ونحوه فيها زمن طويل رجع بعده إلى البصرة وهو شديد الرغبة في أن يرى الخليل ويجلس إلى مجلسه مرة أخرى ، ولكنه الخليل كان قد مات ، وتصدر مجلسه يونس بن حبيب البصري . واتصل به الكسائي وأخذ عنه ، وجادله في مسائل كثيرة ، أقر له يونس فيها ، وصدره في موضعه ، وكان ذلك إجازة له أن يرأس مجالس الدرس (٢) ، وأن يضع نفسه موضع الأساتيد ، فرجع إلى الكوفة ، ليذيع فيها علمه وعلم شيوخه ولكنه لم يتم فيها طويلاً فقد اعتزم الإقامة في بغداد ليقرئ الناس هناك ويعلم مجالسه في العربية على طلابها ، واتصل بالقصور وندبه الرشيد لتأديب ولديه : الأمين والمأمون وكفاه بهذا تقربا من السلطان .

(١) معجم الأدباء ج ١٣ ص ١٦٨ - نزهة الالاء ٨٢ - ٨٣

(٢) نزهة الالاء ص ٨٤ . ومعجم الأدباء ج ١٣ ص ١٦٨ .

ولم تكن العربية وحدها مصدر شهرته بل لم يكن معروفاً بها في حدائته وشبابه فلم يتعامها إلا على كبر كما قال الفراء (١) ، فقد كان له جانب ثقافي آخر عرف به وذاع به اسمه في الأمصار وهو القراءة .

ويؤخذ من الروايات التي يرويها المترجمون له أنه كان قارئاً قبل أن يتعلم النحو ، فإن الخبر الذي رواه ابن الجزري عن الفضل بن شاذان ينص على أنه كان قد مارس القراءات وعرض على حمزة بن حبيب قبل أن يمارس هذه الصناعة ، وقبل لفيه الخليل بن أحمد وخروجه إلى البادية ، فقد كان الفضل بن شاذان يقول : « لما عرض الكسائي على حمزة خرج إلى البدي ، فشاهد العرب » . (٢)

كان الكسائي إمام الناس في القراءة بعد أستاذه حمزة وكان أحد الأعلام الذين يرجع إليهم الناس في القراءات ، وكانت له حلقة « يجلس فيها على كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره والناس يسمعون ويضبطون عنده » (٣) وقدم بنا ذكره مقرئاً في فصل سابق

وقال خلف بن هشام : « كنت أحضر قراءته والناس ينقطون مصاحفهم على قراءته » . (٤)

ذاع اسمه في الأمصار ونفُذ في البيئات العلمية فكان ذلك مما دعا الرشيد أن يندبه لتأديب ولديه الأمين والمأمون .  
كان الرشيد يقربه ويعظم من شأنه وكان ولداً يحترمانه ويوقرانه وكان يلزم الرشيد في حله وترحاله وكان الرشيد يأنس بمجالسته ومصاحبته ويشيد بعلمه وفضله .

(١) نزهة الإلباء ص ٨٢ . ومعجم الإلباء ج ١٣ ص ١٦٨ .

(٢) غاية النهاية ج ١ ص ٥٣٨ .

(٣) ابن الجزري : النشر ج ١ ص ١٧٣ .

(٤) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣١٤ .

وذهب مع الرشيد في رحلته الى طوس ، فاما صار الى الرى اعتل علة شديدة مات على أثرها ، ومات في نفس اليوم والمكان أيضاً محمد بن الحسن الفقيه ، وذلك سنة تسع وثمانين ومائة للهجرة . فقال الرشيد دفنا الفقه والمرية في الرى في يوم واحد . (١)

ولعل منزلة الكسائي عند الرشيد هي التي رفعت من شأنه وشأن نحاة الكوفة ، ولقمت نظر السلطان إليهم ، وجمعت الخلفاء يمهدون إليهم بتأديب أبنائهم .

ولا أظن هناك سبباً آخر يدعو إلى أن يفيض الدارسون في ذكر الأسباب التي جمعت بغداد تخص الكوفة بالعناية والرعاية دون البصرة ، كالذى أشار إليه الأستاذ أحمد أمين . (٢)

ولعل قرب الكوفة من قاعدة العباسيين الاولى ، الذي هيأ لرجالها الاتصال بالخلفاء ، والأمرأه قبل تخطيط بغداد - وقد سبق للأستاذ أحمد أمين أن أشار إليه أيضاً - ، هو الذي جعل بغداد تقبل على الكوفة ، وتستقبل علماءها وفقهاءها . أما غير ذلك من أسباب سياسية فليست الكوفة بأقرب إلى بغداد من البصرة ، فكلا المصيرين يمد مناهاضاً لسياسة العباسيين ، أما البصرة فلا نراها معروفة بولائها للامويين ، وأما الكوفة فبالرغم من أنها شاركت في الدعوة إلى بنى هاشم ، أو إلى الرضا من آل البيت ، لم تلبث ان تخرج على العباسيين وتناهض سياستهم ، وذلك بعد انكشاف حقيقة الدعوة وأنها لم تكن إلا مؤامرة حاكها العباسيون وأشباعهم ، وانخدع بها أهل الكوفة :

ولارتباب العباسيين من رجال الكوفة أمثلة كثيرة ، فقد شاركت الكوفة

(١) الزبيدي : طبقات النحويين - « الكسائي »

(٢) منجى الاسلام ج ٢ ص ٣٤

في الثورة التي قام بها محمد النفس الزكية واخوه إبراهيم في الحجاز والمراق في عهد المنصور مشاركة لأظن أبا جعفر نسيها أو نسيها العباسيون واتهام أبي حنيفة إمام أهل الكوفة بالتشيع ، وسجنه في أيام المنصور مثل من هذه الامثلة .  
وإذا كان هناك سبب آخر يدعو الى التقارب بين بغداد والكوفة خاصة فكيف يفسر تقريب الأصمعي وأبي محمد اليزيدي وهما بهريان اطمأن الخلفاء إليها وأنسوا بما شرحتها وكان لهما في حضرة الخلفاء مناظرات مع السكسائي وغيره من الكوفيين .

وإذا فطن الاستاذ أحمد أمين الى شيء عده سبباً خاصاً في تقريب اليزيدي ، وهو انه كان معلماً ليزيد بن منصور الحميري خال المهدي (١) فلم يذكر سبباً خاصاً في تقريب الأصمعي ، والاستاذ هو الذي يقول عن الأصمعي عند تعليقه كثرة حفظه وروايته : « كما أن وجوده في القصور وبين ايدي الامراء وما يتطلبه هؤلاء من سمر وأحاديث طريفة ، وحسن استمداد الأصمعي لذلك جماله يروي اشياء الكثير من ملح الاعراب في عشقهم وزواجهم ومشاكلهم وما الى ذلك حتى ملأ جو المراق بهذا النوع من القصص ثم تناقلته الامصار » (٢)  
فالسكسائي إذن - فيما نرى - هو حلقة الاتصال بين نحاة الكوفة - واكثرهم تلاميذه - وبين دواوين الخلفاء ومجالس الوزراء والامراء .

وحظوته عند الرشيد هي التي رفعت مقامه عند وزرائه وهي التي فصلت في المناظرات التي عقدت في مجالسهم بينه وبين سيديويه إمام أهل البصرة في النحو وبينه وبين غيره كالأصمعي وأبي محمد اليزيدي ، وتدخلت في اغتصاب الفرز له في أكثر المسائل التي طرحت على بساط البحث بينه وبين مناظريه .

وكان كثيراً ما يشير بتحكيم أعراب كانوا قد نزلوا بالقرب من بغداد

(١) صحفى الاسلام ج ٢ ص ٢٩٨

(٢) صحفى الاسلام ج ٢ ص ٣٠٠

في المسائل التي يختلف فيها مع مناظريه وكان هؤلاء يهاصون مدى صلته بالسلطان فيقولون بقوله ، أو يلقنهم ما يريد .

قال أبو الطيب اللغوي فيها يروي ياقوت : « لولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفموا ذكره لم يكن شديداً وعلمه مختلط بلا حجاج ولا علل الاحكامات لاعراب ، مطروحة لانه كان يلقنهم ما يريد » . (١)

وقصة مناظرته مع سيبويه وتأمره مع جعفر بن يحيى وأخيه الفضل علي اغتصاب الفوز (٢) معروفة ، عرفها القدماء وأحاطوا بجميع ظروفها وملاساتها ثم سجلوها شعراً رثراً ، فلا أجد هنا ما يدعوني إلى إثباتها أو التعليق على موقف الكسائي وتلاميذه من سيبويه ، ذلك الموقف الذي يصور الكسائي في صورة رجل رجل يعوزه شيء ، غير قليل من الأمانة العلمية .

على أن الدراس - وأن لم ينس شيئاً من الاعتبارات التي أشرنا إليها - لا يسمه أن ينكر مالكسائي من علم وإن خالف البصريين في منهجهم الذي كان سائداً في البيئات العلمية ، لانه رئيس مدرسة وصاحب منهج استطاع أن يشق طريقه وأن يزاوم منهج أهل البصرة ويفرض نفسه على البيئات الدراسية في بغداد .

\* \* \*

٢٩٨

أورد أصحاب الطبقات أسماء كتب كثيرة له كان قد صنفها منها: كتاب

(١) معجم الادباء ج ٢ ص ٢٩٨

(٢) قال الزبيدي في طبقات النحويين عند ترجمته لسيبويه : « لما ورد سيرته الى العراق شق امره على الكسائي فأتى جعفر بن يحيى بن برك والفضل بن يحيى بن برك وقال انا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل اما تقدم ليذهب علي فلا فاعتل انفسك فانا سنجمع بينكما »

معاني القرآن وكتاب مختصر النحو وكتاب القراءات وكتاب المدد وكتاب النوادر الكبير والصغير وغيرها. وتحت أيدينا مما صنف المكسائي رسالة في « ما تلحق فيه العوام » وجد منها نسختان مخطوطتان :

الأولى : في برلين وقد حققها وقدم لها « بروكلان » وطبعت في « برسلاو » وفي دار الكتب المصرية نسخة من هذا المطبوع رقمها « ٧٤٧٧ لغة » .

والثانية : في بومباي بخزانة الجامع ضمن مجموعة من الرسائل كتبت في القرن الثاني عشر للهجرة، صححها عبد العزيز الميمني الراجكوتي وقدمها للطبع مع رسالين آخرين إحداها « مقالة في كلاً » وما جاء منها في كتاب الله لابن فارس ، والثانية رسالة الشيخ ابن عربي الى الامام الفخر الرازي وعنوانت المجموعة بـ « ثلاث رسائل » وطبعت في المطبعة السلفية بمصر عام ١٣٤٤ هـ .

وهي رسالة في اللغة لافي النحو تتضمن جملة الكلمات التي ينطق بها العامة على غير وجهها الصحيح كأن تكون مفتوحة الاول مثلاً ، وينطقون بها مكسورة او مضمومة الاول ، وينطقون بها مفتوحة أو مكسورة ، أو تكون بالصاد ، ويلفظونها بالـ. بين أو بالعكس ، أو تكون ملازمة صفة واحدة في التذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع ، فينطقون بها بالتاء مع المؤنث ، وبالزيادة مع المشي والجمع ، وهكذا .

فمن ذلك قوله ( في صفحة ٣١ من نسخة بروكلان ) : « تقول : دعه حتى يسكت من غضبه بالتاء ، ولا يقال بالنون . قال الله عز وجل : « ولما سمكت عن موسى الغضب » .

وتقول : « قد نفذ المال والطعام بكسر الفاء . قال الله تعالى : « لو كان البحر مداداً لنفد البحر » .

ومن ذلك قوله - في صفحة ٣٧ - : « تقول كبد بفتح الكاف وكسر

الباء . قال الآخر .

ومن ذلك قوله في صفحة ( ٣٧ ) : « تقول : كبد ، بفتح الكاف وكسر

الباء . قال الآخر :

أو كان بالفرد الحوَال لا تصدعت من دونه كبد المستمصم الفرد »

وقوله في صفحة ( ٣٩ ) : « يقال : قص الشاة ، وقصصها بالصاد ، ولا

يقال بالسين ، والقس بالسين هو قس النصارى » .

وقوله في صفحة ( ٤١ ) : « ويقال : علي ثياب جدد ، بضم الدال ، والجدد

بفتح الدال : الجبال » .

وقوله في صفحة ( ٤٦ ) : « وتقول : رجل جنب ، ورجلان جنب ،

ونسوة جنب المذكر والمؤنث سواء . ويقال : خاتم الشيء آخره بكسر التاء .

منه قول الله عز وجل : وخاتم النبيين » .

أ كبر الظن أن هذه الرسالة ... إذا صحت نسبتها إلى الكسائي ... هي أقدم

عمل لغوي من نوعه في تاريخ العربية ، فلم أعلم أذ. أحداً قبل الكسائي عرض

لمثل هذا الموضوع ، وصنف فيه رسالة خاصة . وهذه الرسالة تعتبر تاريخاً لظهور

نتائج التفاعل بين اللغات المختلفة التي تلاقت في صعيد الامصار العراقية ، ولبداية

تطور الفصحى إلى حيث آلت إلى ما هي عليه لهجة أهل العراق اليوم .

فهي رسالة في اللغة لا في النحو ، وليس فيها ما يعين على توضيح منهجه

في دراسة النحو ، ومسائله ، مما يتعلق ببناء الكلمات لأحوال أو آخرها في

نهايا التأليف .

وليس لدينا من كتبه الاخرى ما يعين على ذلك أيضاً ، ولكننا مع ذلك

لأنقدم ذلك إذ ارجعنا الى كتب النحو والى الموجود من كتب السكوفيين ، كجبالس

ثعلب ومعاني القرآن للفراء ، وارجعنا ما في هذه وتلك من تقول عنه ، ففيها

للكسائي أقوال كثيرة يستطيع الدارس أن يستفيد منها في رسم صورة لمنهج

وإن لم تكن واضحة كل الوضوح .

ومم أن مانفاه النجاة عن السكسائي من أقوال وآراء لا يمثل نحواً كاملاً وإنما هو أشبه ما يكون بالتعليق على آراء البصريين في المسائل التي عرضوا لها فإنه يمثل وجهة نظر خاصة .

وسأحاول جاهداً أن أظفر .. بما وقفت عليه من أقوال له مبسوطة في كتب النحو وأقوال قيلت فيه من بصريين وكوفيين .. بصورة منهجه دراسة في العربية إذا لم تكن واضحة كل الوضوح فهي .. فيما أظن .. قريبة الشبه به .

\* \* \*

### بصيرته ونهجه

من السهل أن نتصور ما للشيخ من تأثير في تلاميذه ولا ينبغي بهذا التأثير أن يتلقوا ما يمليه عليهم من مسائل وما يجتمع لديهم من معلومات يعلمون بها ذكراهم ، بل التأثير المعنى هو نوع من الاتصال العقلي الذي يربط بين عقليتي الشيخ وتلميذه بنوع من التشابه يختلف درجاته باختلاف قوة الدواعي إلى هذا الاتصال وضعفها ، فلا يزال التلميذ يلقى أستاذه ويأخذ عنه وبلازمه ملازمة شديدة تؤدي به إلى أن يتصل به اتصالاً عقلياً ينبني على محاولة تقليده ومحاكاته حتى يتم التشابه بين العقليتين ويصبح التلميذ مرآة أستاذه .

وليس لازماً أن يصل هذا التشابه بين عقليتي الشيخ وتلميذه ، فقد يكون للتلميذ الواحد شيوخ كثيرون ولا كنه لا يتأثر بهم جميعاً بل لا يتأثر إلا ببعضهم لأن هذا التجاوب الذي يربط بين العقليتين لم يصادف من الدواعي ما يحكم السبب ويقوي الصلة بينها فيعود التلميذ ولا أثر لأستاذه فيه .

ومع ذلك فكثيراً ما يحدث هذا التجاوب ، وفي تاريخ التلمذة أمثلة كثيرة لما نحن بصددده ، فإذا بالتلميذ بصورة لأستاذه أو نسخة نقلت عنه بدقة وإتقان .

فإذا ما تصورنا هذا التجاوب بين العقليتين ، والتفاعل بين النفسيتين فقد  
أمكننا أن نظفر بالخطوط الرئيسة التي تساعد على رسم صورة لشخصية من الشخصيات  
بطريق الوقوف على شيوخه ، وتلاميذه ، هذه الصورة إن لم تكن منطبقة على  
واقعهما كل الانطباق فهي أقرب الصور إليه .

وإذا أردنا أن نرسم صورة للكسائي وشخصيته العلمية فلا غنى لنا عن  
أن نعرض لشيوخه ، لأنه إن تأثر بهم فقد حمل في نفسه أدق خصائصهم ومميزاتهم  
وأن نعرض لتلاميذه ، لأنه إن أثر فيهم فقد حملوا في نفوسهم ملامح شخصيته  
وخصائصها ، بنفس الطريقة التي حملت شخصيته ملامح شيوخه الذين درس عليهم  
وتأثر بهم .

فلنتبع أساتيدنا الذين لازمهم ، وأعجب بهم ، وتأثر خطواتهم ، لنعرف  
مصدر العناصر الرئيسة التي تكون منها منهج دراسته ، ولنتبع تلاميذه ، لنقف  
على آثار هذه العناصر فيهم ، لنخرج من دراسته مطمئنين إلى النتيجة التي نريد  
الوصول إليها ، وهي :

أن الكسائي بمنهجه وأساليب دراسته ، مدرسة لها خصائصها ومميزاتها  
فليست المدرسة إلا أستاذاً مؤثراً ، وتلاميذ متأثرين ، وقد اجتمعوا على تحقيق  
غرض موحد ، ونهجوا للوصول إليه منهجاً موحداً .

بُيُوتُهُ :

والشيوخ الذين أخذ الكسائي عنهم قراءاً ونحاة . أما القراء فكثيرون ،  
منهم : حمزة بن حبيب الزيات ، ومحمد بن أبي ليلى ، وعيسى بن عمر الهمداني  
وأبو بكر بن عياش . وكان أكثر اعتماده على حمزة ، وقد خلفه في رئاسة  
الاقراء .

وأما النحاة فقد أخذ عن معاذ بن مسلم الهراء ، وأبي جعفر الرواسي من  
السكرافيين ، وعن عيسى بن عمر الثقفي ، والخليل بن أحمد القراهيدي من

البصريين ، وأكثرت اعتماده على الخليل ، وآثار الخليل في نحوه واضحة ، وقد ذهب الى ما ذهب اليه في مسائل كثيرة ، سنعرض لها في هذا الفصل .

فالسكسائي إذن قد تخرج في مدرستين ، لكل منهما منهج خاص ، يختلف عن الآخر اختلافاً كبيراً ، فمنهج مدرسة القراءة عماده الرواية والسند الصحيح والاسناد هو الأصل الأعظم عند القراء ، ولا تجوز القراءة بالقياس المطلق قطعاً ، وكل قراءة لم تستند إلى الرواية فهي مرددة ، وان وافقت مقاييس النحاة وقوانينهم ، وقد سمعنا الشعبي يقول : « القراءة سنة ، فاقروا كما قرأ أولوكم » .

وكانت القراءة - ولا تزال خلال المصور - قاعة على التلقين والتلقين ، رواها الصحابة عن النبي ( ص ) ، ورواها التابعون عن الصحابة عن النبي ( ص ) ورواها تابعو التابعين عن الصحابة عن النبي ( ص ) .

ولم تكن الرواية عماد القراءات حسب ، بل كانت عماد المعارف الاسلامية كلها في القرن الأول ، كان الفقيه يعتمد عليها في فقهه ، والمفسر يعول عليها في تفسيره ، والمؤرخ ايس له غيرها وسيلة يصل بها الى أخباره ، وهكذا سائر الدارسين ، لا يجدون ما يعتمدون عليه في دراستهم وتخصصهم غير سبيل النقل والرواية .

في هذه البيئة القرائية نشأ السكسائي وقضى شطراً من حياته يسمع من هذا ، ويعرض على ذلك ، وروى قراءات كثيرة كان يتخير من مجموعها قراءة عرف بها من بعد ، فليس غريباً أن يتأثر بمنهجها وأن يسلك نشاطه الثقافي في الاتجاه الذي الذي سارت فيه .

ومنهج مدرسة النحو عماده القياس والبحث في علل التأليف ، ولا يعنى بالرواية إلا بمقدار ما يستفيد منها في تأييد أصوله ، وتثبيت قواعده .

ولقد تعلم السكسائي العربية على كبر ، كما قال القراء ، ودرس النحو على شيوخ القياس في البصرة ، واتصل بكثير من المنتسبين الى مدرسته ، كيونس

ابن حبيب ، وسعيد بن مسعدة الأخفش ، الذي قيل إن الكسائي درس عليه كتاب سيبويه ، وقد ظهر في آرائه وأقواله آثار لهذه المدرسة ، سنعرض لها في هذا الفصل أيضاً .

\* \* \*

تلمذته :

أما تلاميذه فكثيرون ، ذكر منهم الزبيدي : الفراء ، والقاسم بن معن ، وعلي بن المبارك الأحمر ، وهشام بن معاوية الضرير ، وسامويه ، وإسحاق البغوي وأبامسحل بن حريش ، وقتيبة النحوي . وزاد ابن التميمي : الاحياني ، وترجم له في نبذة هوجزة (١) وذكره السيوطي في بغية الوعاة على أنه من تلاميذه (٢) أيضاً .. وأشهر هؤلاء جميعاً هم :

١ - الفراء ... وسنفرده له مقالة خاصة به في هذه الرسالة ، لأنه من حذاق أهل الكوفة ، وله أثر كبير في نضج النحو الكوفي ، وإقامة المدرسة الكوفية .

٢ - الاحياني : وهو علي بن الحسن ، أو علي بن المبارك ، كان من مقدمي أهل الكوفة . أخذ عن الكسائي وأبي عمرو الشيباني من الكوفيين ، وعن أبي زيد والأصمعي ، وأبي عبيدة ، من البصريين ، وعمدته علي الكسائي (٣) ، وكان قد نقي العلماء والفضحاء من الاعراب (٤) ، وكان الاحياني أحفظ الناس للنوادير عن الكسائي والفراء ، وكان من نوادره : أنه حكى أن من العرب من يحزم بلن ، وأنشد عليها :

(١) الفهرست ص ٧١ ، ٧٢ .

(٢) بغية الوعاة ص ٣٤٧ .

(٣) بغية الوعاة ص ٣٤٦ .

(٤) الفهرست ص ٧١ .

لن يخب الآن من رجائك من هرك من دون بابه الخلقه (١)  
وحكى أن من العرب من ينصب بلم « وعلى هذه اللغة قراءة من قرأ :  
« ألم نشرح لك صدرك » بفتح الحاء » (٢) ، وقول الراجز :  
في أي يوى من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر (٣)  
وحكى أن من العرب من يجزم بأن (٤) ، وعليه قول الشاعر :  
أحاذر أن تعلم بها فتردها فتتركها تفلا على كما هيا  
وقول الآخر :

إذا ما غدونا قال ولدان أهنا تماالوا إلى أن يأتنا الصيد نخطب (٥)  
فكان من أجل هذا أن جوز الكوفيون - وأحسب اللحياني منهم - الجزم  
بها ، وقد كان أبو جعفر الرواسي يقول : « فصحاء العرب ينصبون بأن واخواتها  
الفعل ، ودونهم قوم يرفعون بها ، ودونهم قوم يجزمون بها » (٦) ، أما اللحياني  
فذكر أن الجزم بأن لغة بني صباح . (٧)  
ويبدو أن لغة الجزم بأن كان البصريون يعرفونها ، فقد ذكر النحاة أن  
أبا عبيدة كان ممن حكى الجزم بها من البصريين (٨) ، وزعم السيوطي « وتبعه  
الصبان ج ٣ ص ٢٨٨ ) : أن اللحياني من البصريين ، فقد قال حين عرض اهذه

- 
- (١) السيوطي : همم الهوامع : ج ٢ ص ٤ .
  - (٢) نزهة الألباء ص ٢٣٦ ، الهمع ج ٢ ص ٥٦ .
  - (٣) شرح الأشموني ج ٤ ص ٧ .
  - (٤) همم الهوامع ج ٢ ص ٣ .
  - (٥) شرح الأشموني ج ٣ ص ٣٨٨ .
  - (٦) همم الهوامع ج ٢ ص ٣ .
  - (٧) - صباح : ينتج الصاد المهملة وتشديد الموحدة ، وآخره حاء مهملة ، أبو طر  
من ضبة - حاشية الصبان ج ٣ ص ٢٨٨ - .
  - (٨) همم الهوامع ج ٢ ص ٣ .

اللغة : « ومن حكى الجزم بها من البصريين : أبو عبيدة والليثاني » (١) ،  
ولكن ابن النديم وصفه بأنه غلام الكسائي (٢) ، ولو ثبت أنه من البصريين  
أصلاً لما نافي ذلك أن يكون من الكوفيين منزهياً ، لأن المترجمين له يتفقون على  
أنه من أصحاب الكسائي وتلاميذه ، وعمدته على الكسائي ، وإن أخذ عن  
بصريين وكوفيين .

\* \* \*

٣ - هشام بن معاوية الضير . . . وهو أحد أصحاب الكسائي ، أخذ  
عنه ، واشتهر بصحته ، وله تصانيف ذكرها أصحاب الطبقات ، ولا نعلم عنها  
شيئاً ، ويغلب على الظن أنه كان أبرع أصحاب الكسائي في صناعة الأعراب  
بعد الفراء ، يدل على ذلك أقواله وآراؤه التي دونها النحاة في كتبهم .

وهو في أقواله النحوية يوافق أستاذه حيناً ، ويخالفه ، ليوافق الفراء  
ومن تبعه من الكوفيين ، حيناً آخر ، فما وافق فيه الكسائي

ذهابه إلى أن النائب عن الفاعل في الفعل اللازم المجني للمفعول إما هو  
ضمير المجهول (٣) ، وذهابه إلى جواز صوغ أفعال التعجب من العاهات نحو :  
ما أعماه ، والألوان أيضاً نحو : ما أجهره (٤) ، وذهابه إلى أن ( أم ) كبل ،  
وقالها كتلوها ، فإذا قلت : قام زيد أم عمرو ، فالمعنى : بل قام عمرو ، وإذا قلت :  
هل قام زيد أم عمرو ، فالمعنى : بل هل قام عمرو . (٥)

وبما خالفه فيه : اختياره الرفع في الفعل المنفصل بينه وبين ( إذن )

(١) هم الهوامع ج ٢ ص ٣ .

(٢) فهرست ابن النديم ص ٧١ .

(٣) هم الهوامع ج ١ ص ١٦٤ .

(٤) هم الهوامع ج ٢ ص ١٦٦ .

(٥) هم الهوامع ج ٢ ص ١٣٣ .

يعموله ، فبعد أن اتفق معه في جواز الفصل بينه وبين ( إذن ) بمعمول الفعل خالفه فيما يختار للفعل بعد الفصل ، قال الكسائي اختار نصب ، وهشام اختار الرفع . (١)

ومما خالفه فيه ، ووافق الفراء : تجويزه نصب ( اليوم ) خبراً عن الأحد والاثنين ، « وذلك لتأويلها ( اليوم ) بالآن ، فعنى اليوم الأحد : أي الآن الأحد ، والآن أهم من الأحد فيصح أن يكون ظرفه » . (٢)

وربما انفرد برأي لم يقل به الكسائي ولا غيره من الكوفيين ، ومن ذلك : ذهابه إلى أن رافع الفعل هو الأسناد ، أي النسبة ، فيكون العامل معنوياً . «٣»

وذهابه إلى أن العامل في المفعول به إنما هو الفاعل «٤» وكان يقول : « إذا قلت : ظننت زيدا قائماً ، تنصب زيدا بالتاء ، وقائماً بالظن » (٥)

ومن أصوله : قوله : « إذا عطف على شيء ، لم تحتاج إلى توكيده » . يقول الرضي في تعليل هذا : « ولعله نظر إلى أن العطف عليه دال على أنك لم تفلط فيه » . (٦)

\* \* \*

٤ - أما علي بن المبارك الأحمر . . . فقد ذكره أصحاب الطبقات في جملة أصحاب الكسائي ، وقدموه على أصحابه ، حتى على الفراء نفسه « جودة

- 
- (١) شرح الأشموني ج ٣ ص ٢٩٢ .
  - (٢) شرح الرضي على الكافية ، ج ٩ ص ٣٨٣ .
  - (٣) همع الهوامع ج ١ ص ١٥٩ .
  - (٤) همع الهوامع ج ١ ص ١٦٥ .
  - (٥) الانصاف في مسائل الخلاف - مسألة ١١ - .
  - (٦) شرح الرضي على الكافية ج ٩ ص ٣٣٦ .

قريحته ، وتقدمه في علل النحو ، ومقاييس التصريف « (٧) ، وذكروا أنه كان كثير الحفظ ، ونقلوا عن ثعلب أنه كان يحفظ أربعين ألف شاهد في النحو ، وأنه اجتمع له من التلاميذ جمع كبير ، كانوا يلازمونه ويهجون به ، ويفضلونه على سائر أصحاب الكسائي ، حتى إنه لما مات « أراد الفراء أن يتمم ما بدأه الأحرر من إملائه الشواهد ، فلم يجتمع له الناس ، كما اجتمعوا للأحرر ، فقطع » (٢).

ولسكني لم أقف على أقوال له في النحو تؤيد زعم الأولين بتقدمه على أصحاب الكسائي في العربية ، بل لا أعلم أحداً من النحاة نقل له قولاً أو رأياً في مسألة ، إلا ما جاء في همع الهوامع من أنه كان يزعم أن ( ما ) يستثنى بها كالأول ولم ينفرد به وحده وإنما جاء اسمه مقروناً باسم الفراء (٣).

وقد تردد اسمه بين أسماء من حضر مجلس المناظرة بين سيديويه والكسائي في المسألة المعروفة : « قد كنت أظن أن العقب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو نبي أو فإذا هو إياها » . وكان أحد المتأمرين على كسب المعركة العامية ولو على حساب العلم نفسه فأنمقد المجلس وحضر سيديويه قبل أن يحضر الكسائي فوجد الفراء والأحرر وهشاماً ومحمد بن سعدان قد سبقوه « فسأله الأحرر عن مسألة فأجابه سيديويه عنها فقال : أخطأت ثم سأله عن ثانية فأجابه فقال : أخطأت . ثم سأله عن ثالثة فأجابه فقال له : أخطأت . فقال سيديويه : هذا سوء أدب » (٤) وذلك لأن سيديويه كان يجيبه بالصواب وهو يخطئه .

ولعل مما يضمه في منزلته ما حكاه السيوطي من أنه « لما أصاب

(١) نزهة الألباء ص ١٢٦ .

(٢) بغية الوعاة ص ٣٣٤ .

(٣) همع الهوامع ج ١ ص ٢٣٣ .

(٤) طبقات الزبيدي - سيديويه - الاشياء والنظائر ج ٣ ص ٩٥ .

الكسائي الوضع ( البرص ) كره الرشيد ملازمته أولاده فأمره أن يختار لهم من ينوب عنه من يرضاه ، وقال : إنك كبرت ولستنا نقطع راتبك ، فدافسهم خوفاً أن يأتيهم برجل يغلب على موضعه إلى أن ضيق الأمر عليه وشدد ، وقيل له : إن لم تأت برجل من أصحابك اخبرنا نحن لهم من يصلح وكان بلغه أن سيئويه يريد الشخص إلى بغداد والأخفش ، فقلق لذلك وعزم على أن يدخل عليهم من لا يخشى غائلته فقال للأحرر : هل فيك خير ؟ قال : نعم . قال عزمتم على أن أستخلفك على أولاد الرشيد . فقال الأحرر اعلى لا آفي بما يحتاجون إليه . فقال الكسائي : إنما يحتاجون كل يوم إلى مسألتي في النحو وبيتين من معاني الشعر وأحرف من الالفه وانا ألقنك كل يوم قبل أن تأتيهم فتحفظه وتعلمهم . فقال : نعم . « (١)

فلزعم بأنه شيخ العربية أو أنه أحد من اشتهر بالتقدم في النحو ، أو أنه - فيما قال ثعلب - كان متقدماً على الفراء في حياة الكسائي لجودة قريحته وتقدمه في علم النحو ومقاييس الصرف « (٢) إنما هو بعض المزاعم الكوفية المريضة التي يجب التثبت قبل الاقدام على تصديقها .

\* \* \*

### منهج الكسائي في دراسة النحو

ولما انتهى الكسائي من عهد التلمذة ، وتصدر في مجلس الأستاذية في بغداد ، كان يجتذبه منهجان متباينان ، منهج مقيد بالنقل ، وليس للعقل من سلطان عليه ، وهو منهج أهل القراءة ، القائم على الرواية . . . ومنهج مقيد بالعقل ، ويحاول إخضاع النقل لأحكامه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وهو منهج

(١) بغية الوعاة ص ٣٣٤ .

(٢) نزهة الالباء ص ١٢٦ .

أهل العربية ، القائم على القياس .

ويبدو أنه انتهى إلى أن ينتهج في حياته العامة منهجاً وسطاً ، فيه ظلال مدرسته الأولى وآثار مدرسته الثانية ، ولم يستطع أن يخلص لأحد المنهجين ، لأن كلاهما كان قد ترك في نفسه أثراً .

ومن مظاهر التقاء المنهجين في نفسه أنه كان يتخير قراءته من قراءات كثيرة ، كأنه كان يحاول التوفيق بين القراءات المختلفة من جهة ، وبين آرائه في العربية من جهة أخرى .

ومن مظاهره في نفسه أيضاً أن كان يأخذ بروايات الأعراب الذين لم يدخلهم البصريون في حساب مصادرهم اللغوية ، كالأعراب الذين عاشوا في قرى سواد بغداد وغيرهم .

وكأن القدماء كانوا قد شمروا بهذا المصدر الذي صار إليه الكسائي ، ولكنهم لم يستشفوا واقم الأمر ، ولم يدركوا الأثر الذي تركته في نفسه دراسته الأولى ، فراحوا يعمون عليه هذا الخلط بين طريقة أهل العربية وطريقة أهل القراءة ، فكان أبو زيد - فيما يروى ياقوت - يقول : « قدم علينا الكسائي البصرة ، فلقي عيسى والخليل وغيرهما ، وأخذ منهم نحواً كثيراً ، ثم صا إلى بغداد فلقي أعراب الحطمية ، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن ، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله » (١) .

والواقع أنه لم يستطع التخلص من آثار تناقضه الأولى ، فعني بأعراب الحطمية ، كما عني بغيرهم من أعراب البوادي العربية ، الذين كان قد تنسقل بينهم ، وأخذ عنهم في أثناء رحلته الطويلة في بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، كما أشار به الخليل عليه .

وموجز الحديث عن منهجه في دراسة النحو في ضوء ما ذكرنا :

١ - أن نحوه لم يتأثر بالفلسفة الكلامية تأثراً مباشراً ، ولم ينقل عنه أنه اتصل بأراء المتكلمين ، أو وقف على شيء من الثقافة الأجنبية ، كما هو شأن نخبة البصرة الذين قبل إنهم مهدوا السبيل للحكمة الأجنبية أن تغزو مباحثهم النحوية ، لذلك ، إن نحوه يكاد يكون خلوياً من أي أثر فلسفي مباشر ، اللهم إلا ما جاءه عن طريق دراسته النحو البصري ، الذي كان متأثراً بمذاهب أصحاب الكلام ، فلم يكن للعامل النحوي عنده ماله عند نخبة البصرة ، من قوة استعاروها له من العلة الفلسفية ، ولم يتصوّر المعمولات النحوية ، كما كان البصريون يتصورونها ، فقد يجعل للعامل معمولين في آن واحد ، ومن جهة واحدة ، كما هو مذهبه في جواز أن يعمل الفعل المتمدى إلى واحد في الاسم وفي ضميره ولا يستلزم ذلك عنده ما يستلزمه عند المتكلمين من القول بتأثر معمولين بعلة واحدة ، فهو ينضّب (زيداً) في قولهم : « زيداً ضربته » بالفعل الذي بعده لا بفعل مخدوف مفسر . والفعل الظاهر عنده يكون ناصباً (زيداً) ، وضميره ، ولا يهمه أن يؤدي ذلك إلى الاعتراض عليه بتعمدية الفعل إلى اثنين ، مع أنه لا يتمدى بنفسه عند البصريين إلا إلى مفعول واحد (١)

وقد يتصور فعلاً ، ولا فاعل له ، كما هو معروف من مذهبه ، فقد كان يذهب إلى جواز خلو الفعل من الفاعل ، مع أن الفعل عند النحويين المناطقة لا بد له من فاعل ، فهو بناء على هذا لا يحتاج إلى تقدير الفاعل ، أو تأويله في أول الفعلين المتنازعين عند إعمال الثاني (٢)

\* \* \*

٢ - وكان يعني بأخبار الأحاد التي صح سندها ، أو بالشواذ من كلام

(١) شرح الرضي على الكافية ج ١ ص ١٦٣

(٢) شرح الرضي على الكافية ج ١ ص ٨٧

العرب ، الذين يثق بفصاحتهم ، ولو كانوا من أعراب الحظمية (١) وكان يقيس على ما جاء من هذه الشواهد والامثلة التي كانت تخالف الأصول البصرية المقررة: كذهبه في (جواز) ، فليست هي عنده كالمناقوس في اللفظ ، وإنما كان يجربها مجرى المنفوع من الصرف ، فيجرها بالفتحة ، استناداً إلى ما جاء من قول الفرزدق :

فلو كان عبد الله مولى هجوته      ولكن عبد الله مولى مواليا  
وقد سبقه إلى القول بهذا من البصريين : عيسى بن عمر الثقفي ، وأبو زيد الانصاري (٢) أما سائر البصريين الآخرين فكانوا يجرون ذلك مجرى المنقوص ، وهو رأى سبق أن نبه عليه عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي ، وغلط به الفرزدق في بيته المذكور ، وقصته معروفة ، وعده سيبويه من الضرورات التي يضطر إليها الشاعر ، فقد قال بعد أن ذكر بيت الفرزدق وبيت الهذلي :

أبيت على معاري واضحات      بهن ملوب كدم الصباط (٣)  
« فلما اضطرروا إلى ذلك في موضع لا بد لهم فيه من الحركة أخرجوه على الأصل » (٤) .

وكذهبه في جواز إضافة ( حيث ) إلى المفرد قياساً ، تمسك بقول الشاعر وقد أشده ابن الأعرابي :

وظفهم حيث الحبي بعد ضربهم      ببيض المواضي حيث لي العائم

(١) الحظمية قرية على فرسخ من بغداد من الجانب الشرقي مندوبة إلى السري بن الحظم أحد القواد

(٢) شرح الرضي على الكافية ج ١ ص ٥٨

(٣) المعاري هنا : الفراش ، والمواضعات : البيض ، والملوب : المطيب ، والصباط :

جمع عبيط أو عبيطة ، وهي التي تحوت لغيره . المنتهري : الكتاب ج ٢ ص ٥٩

(٤) الكتاب ج ٢ ص ٥٩

يقول ابن هشام : «ويمكن أن يخرج عليه قول الفقهاء : من حيث أن كذا . بفتح همزة أن » . «١»

لذلك كان الكسائي هدفاً لنقادات البصريين الذين يعنون بالأصول العامة : المبنية على الأغلب والأفشى . أما المسائل التي تشذ عن هذه الأحكام فمحكوم عليها بالشذوذ تحفظ إذ لم يستطيعوا إنكارها لثبوت صحتها وروايتها عن الفصحاء ، ولكنهم لا يقيسون عليها .

أما الكسائي فيسكن يمتد كل الاعتداد بهذا وأمثاله وكان يقيس عليه ، وإن لم يرد في كلام العرب غيره ، ولذلك كان ابن درستويه - وهو من تلاميذ المدرسة البصرية ومن أصحاب أبي العباس المبرد - يقول : «كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجمله أصلاً ويقيس عليه فافسد النحو بذلك » (٢) .

وليس أدل على اعتداده بالرواية عن العرب مما كان بينه وبين عيسى بن عمر الشنقي البصري ، فقد جمعها الحسن بن قحطبة أول ما دخل بغداد ودارت المسألة بينهما على هذا النحو :

« قال الكسائي : فسألته عن «هك ما أهك » . قال فذهب يقول : يجوز كذا وكذا ويجوز كذا . قال : فقلت : عافاك الله إنما أريد كلام العرب ولم يجي . بكلام العرب » (٣)

\* \* \*

٣ - والكسائي مع هذا كان ممن يعنون بالقياس أيضاً . وأغلب الظن أن عنايته به أثر من آثار المدرسة البصرية فيسكن يقول :

(١) المضي لابن هشام ص ١١٧

(٢) البنية ص ٣٣٧

(٣) مجالس اللغويين والنحاة - لوحة ٥٦ (مصورة عن نسخة شهيد علي باستانبول)

إنما النحو قياس يتبع وبه في كل علم ينتفع (١)  
والكن قياسه يختلف عن قياس البصريين من حيث التطبيق ، فبينما نجد  
البصريين يكرّون أصلاً من الأصول ، بعد استقراء يقتنعون بصحة نتائجه  
ويقيدون المسائل الجزئية عليه إذا توافر فيها علة ذلك الأصل ، إذ تجد الكسائي  
يكتفي بالشاهد الواحد بسمعه من أعرابي يثق بفصاحته ، ليقبس عليه ، وإن  
كان هذا الشاهد المسموع مما لا نظير له ، ومما يمدد البصريون شاذاً لا يعتمد به .  
وربما غلطه البصريون ، ولحنوه ، لأن مصادر سماعهم التي رسموها ، وقيدوا  
بها الدارسين لم يلتزم بها الكسائي ، بل لقد وسع دائرة مصادرهم ، حتى ألحق  
بها أعراب الحظمية ، وأعراب سواد بغداد ، وهم عند البصريين من غير أهل  
الفصاحة ، ومن لا يجوز الأخذ منهم ، فاعتداد الكسائي وأخذه عنهم يمد في  
فطرهم إفساداً للغة ، وقواعدها .

وقد سمعنا أبا زيد ، وهو أحد شيوخ المدرسة البصرية ، ينمى على  
الكسائي لقيه أعراب الحظمية وأخذه عنهم ، ويتممه بإفساد ما أخذه بالبصرة  
كله . وعلل بعضهم هذا الإفساد بمثل ما علل به ابن درستويه ، فقال : « كان  
يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن ، وشعر غير أهل الفصاحة بالضرورات  
فيجعل ذلك أصلاً ، ويقبس عليه ، حتى أفسد النحو » (٢)

وهذا الإفساد الذي اتهم البصريون به الكسائي إنما هو إفساد لأصولهم  
ومقرراتهم . أما كونه يمس اللغة ، أو يمس النحو ، فيحتاج إلى برهان ، لا أظنهم  
استطاعوا أن يأتوا به .

٢ - وقد تآثر الكسائي البصريين ، فأخرج الحديث عن نطاق المصادر  
التي يحتج بها أو يستدل بها على إثبات أصل أو تصحيح حكم . قال أبو حيان :

(١) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٩٢ وبضية الوعاة ص ٣٣٧

(٢) معجم الأدباء ج ١٣ ص ١٨٢

« إن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو  
ابن العلاء وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد وسيبويه من أئمة البصريين »  
والكسائي والفراء وعلي بن مبارك الأحمري وهشام الضرير من أئمة الكوفيين ، لم  
يفعلوا ذلك ، وتبهمهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين » (١)

إن امتناع الكسائي عن الاستشهاد بالحديث والاحتجاج به - فيما أظن -  
أثر من آثار المدرسة البصرية ، وهو غريب يدعو إلى التأمل ، وخاصة بعد أن  
عرفنا وعن الكوفيين جميعاً : « أنهم لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف  
للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه » ، وأن الكسائي بصفة خاصة مقرئ  
اعتمد كل الاعتقاد في قراءته على الروايات ، كما هو شأن أئمة القراءة في موقفهم  
من القراءات والحروف .

وأكبر الظن أن الكسائي - بالرغم من كونه مؤسس المدرسة الكوفية -  
لم يكن نحوه كوفياً خالصاً ، ولم يستطع التخلص من آثار شيوخه البصريين ، فكان  
يعتمد على كثير من آرائهم وأبجَاهاتهم ، وكان يوافقهم - وروافق الخليل بن أحمد  
خاصة - في مسائل كثيرة خالفه الكوفيون فيها من بعد واتخذوا لهم فيها آراء  
جديدة تنسق مع ما يتطلبه منهجهم . فمن هذه المسائل :

رأيه في « لن » فقد اقتفى أثر الخليل في القول بتركيبها من لا  
وأن (٢)

ورأيه في محل « ان المصدرية وما بعدها » بعد حذف الخافض كما في قولهم  
عجبت أن تقدم على هذا . فقد تابع الخليل في القول بأنه الجر . (٣)

(١) الاقتراح حيدر آباد ص ١٧

(٢) المغنى ص ٢٢١ شرح الأسموني ج ٣ ص ٢٧٩

(٣) شرح الرضي على الكافية ج ٣ ص ١٨٣

وذهابه إلى فعلية ( نعم وبئس ) ، ( وما أفمل ) في التصجب متابعا فيه  
البصريين في كونهم أفمالا . (١)

وذهابه إلى أن ما في قولهم : « نعمتا هي » معرفة تامة ، بمعنى الشيء (٢)  
وهو في هذا بقول بمقالة سيديويه ، فقد جاء في الكتاب : « وغسلته غسلًا  
نعمتا ، أي نعم الفسل » (٣) ، فما هو الفاعل ، لسكونه بمعنى ذي اللام ( وهي )  
مخصوص .

وذهابه إلى أنه لا يجوز ترخيم ما كان على ثلاثة أحرف (٤) وهو مذهب  
الخليل ، وسيديويه ، فقد جاء في الكتاب : « اعلم أن كل اسم على ثلاثة أحرف  
لا يحدف منه شيء ، إذا لم يكن آخره الهاء ، فزعم الخليل أنهم خففوا هذه الأسماء  
التي ليست أواخرها الهاء ، ليحصلوا ما كان على خمسة على أربعة وما كان على أربعة  
على ثلاثة ، فاعما أرادوا أن يقرّبوا الاسم من الثلاثة أو يصيروا إليها ، وكان  
غاية التخفيف عندهم ، لأنه أخف شيء ، عندهم في كلامهم ، ما لم ينتقض فكرهوا أن  
يحدفوه إذا صار قصار اسم أن ينتهوا إليه » (٥)

والكسائي بعد هذا - مؤسس مدرسة الكوفة « الذي رسم للكوفيين  
رسوما فهم الآن يعملون عليها » (٦) لأنه فيما تعلم أول كوفي خرج على أساليب  
البصريين ، وخالفهم في كثير من آرائهم وغير كثير من أصولهم ، ولأننا سنلخص  
آثار منهجه في دراسة النحو واضحة في منهج من جاء بعده من أساتيد النحو  
الكوفي .

(١) شرح الأسموني ج ٣ ص ١٨ ، ٦ ، ٢٧

(٢) شرح الرضي على الكافية ج ٢ ص ٣٤٦

(٣) الكتاب ج ١ ص ٣٧

(٤) الانصاف « مسألة ٤٩ »

(٥) الكتاب ج ١ ص ٣٧

(٦) الاطاني ج ١٩ ص ١٠٢

(٣)

## عيسى بن زياد الفراء

جلس الكسائي يوماً ، وهو له أصحابه ، فأقبل عليه رجل يحيط به بعض أصحابه وهو يترجم مسأله الكسائي وإعناته ، فسأله عن مسائل من مسائل أبي جعفر الرواسي أحد علماء العربية في الكوفة ، فأجاب الكسائي بخلاف ما عنده ، فغمز من كان معه ورأى الكسائي ما فعل فقال : « مالك قد انكرت لملك من أهل الكوفة ! » فقال : نعم . فعرف أنه إنما يسأله من مسائل أبي جعفر الرواسي ، فقد سبق أن قرأ الكسائي عليه وأخذ عنه وأحاط بما عنده قبل أن يقصد إلى البصرة ويحضر مجلس الخليل ويأخذ عنه ، وقبل أن يشد الرحال إلى البوادي العربية يسمع من الأعراب .

فالتفت إليه وقال : « الرواسي يقول : كذا وكذا ، وليس صواباً وسمعت العرب تقول : كذا وكذا ، حتى أتى على مسأله (١) .

ولم يقتنع الفراء بادي الأمر وظل يتحين الفرص لإعناته وإخامه ليتم له ما قصد إليه ، فقد حدثنا صاحب كتاب « مجالس اللغويين والنحاة » (٢) عن توبة بن دراج أنه قال : « سمعت الفراء يقول : كذا بالرقعة وكان الناس قد كثروا على الكسائي فشغلوه عنا ، فعملت له مسائل فيها محال وفيها صواب ، فأقبل يقول ، فيصيب ويقلط لما شغله من الناس ، فلما صار إلى منزله كتب إلي رقعة فأعاد إلي فيها ما سألته ، فقال فيها بالصواب كلها وقال : كنت مشغولاً بما

(١) فهرست ابن النديم ص ٩٦ نزهة الإلباء ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) هو فيما يظن السيوطي - أبو القاسم الزجاجي ، كما جاء في الأشباه والنظائر ج ٣

كان عندي ، وقد ظننت أنك أردت ببعض مسألتك أن تتغفلني ، وقد قيل :

ولا تبسغ التغفل إن فيه تفرق بين ذات الأصفياء

ولا ينبغي لمالك أن يفعل معي ذلك .. قال الفراء : فيبلغ مني هذا القول

كل مبلغ ، وكأني فحرت به منه بجرأ (١) .

أعجب به الفراء حينئذ ، ورأى منه ما لم يكن يراه من أبي جعفر الرواسي

وغيره ولازمه ، وأخذ عنه كثيراً .

ولا نعرف عن حياة الفراء الاولي كثيراً ، لأنه لم يكن من ذوى الأسر التي

يحسب الكتاب والمؤرخون لها حساباً ، ويعلمون الصفحات بكل قافه من ألوان حياته

المترفة ، فقد كان أبوه مولى لقبيلة عربية انتسب إليها كثير من الصحابة ، وغيرهم

وهي قبيلة بني منقر ( بكسر الميم وسكون الفون وفتح القاف ) ، ونشأ كما ينشأ

أولاد الفقراء ، ينتهب حقه في الحياة انتهاباً ويفرض شيخه على الزمن فرضاً ،

ولم يفتح التاريخ عينه على يحيى بن زياد إلا وهو شاب عرفه زملاؤه بنفاذ

الذهن ، ودقة الحس ، وقد رله أستاذه أبو جعفر الرواسي مستقبلاً علمياً

جليلاً .

وأصحاب الطبقات يتحدثون : أنه درس على أبي جعفر الرواسي ، كما فعل

الكسائي من قبل ، وذهب الى بغداد ، لأنها كانت إذ ذاك غاية الطالبين ، أو

لأن أبا جعفر زين له الذهاب اليها قاصداً بذلك الى منافسة الكسائي ، لأنه لم

يعد على وفاق معه ، كما يبدو من حكاية أبي البركات بن الأنباري : من أن الرواسي

قال للفراء ، حين حشه على الذهاب الى بغداد : « قد خرج الكسائي الى بغداد ،

وانت أمير منه » (٢) ، أو لأن الكسائي لم يعد يرى في الرواسي إما ما بعد أن

جلس إلى حلقة الخليل بن أحمد في البصرة ، وأخذ عنه ، وبهد أن خرج إلى

(١) مجامع اللغويين والنحاة - لوحة رقم ٧٨ .

(٢) زهرة الألباء ، ص ٦٥

البوادي العربية، وسمع من أعرابها، وأخذ كثيراً عنهم، كما نشرنا به المحاوراة التي جرت بين الكسائي والفراء حينما اعترض هذا مساءلة الكسائي بمسائل أبي جعفر.

ومن الأخبار المتفرقة هنا وهناك عرفنا أنه ذهب إلى البصرة ليجلس إلى شيوخها، وأكبر الظن أن الذهاب إلى البصرة إذ ذلك كان لا بد منه لمن يريد أن يلم بصناعة الأعراب، فقبله كان أبو جعفر الرواسي قد درس في البصرة على أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الشقي، وقبله أيضاً كان الكسائي قد أخذ عن عيسى بن عمر وتلمذ للخليل بن أحمد.

كان ذهابه إلى البصرة - كما يبدو من تلك الأخبار - متأخراً، لأنه لم يدرك الخليل بن أحمد، ولم يسمع أنه جلس إلى مجلسه، والنحوي البصري الذي قالت الأخبار إن الفراء اتصل به هو يونس بن حبيب الذي تصدر لتدريس مجلس الخليل بعد وفاته، وكان يونس أسن من الخليل لأنه توفي سنة ثمانين ومائة للهجرة بعد أن عاش ثمانين سنة، بل قيل إنه جاوز المائة. (١)

لقي الفراء يونس في البصرة وأخذ عنه وظهر ذلك فيما وافقه من مسائل كما ذكر ابن هشام من أن يونس والفراء قالا بوقوع «الذي» مصدرية (٢). وروى عنه في اللغة وشواهد النحو، وقد عرض أبو البركات بن الأنباري لبعضها ووقف بتلمذته له على نحو البصرة.

وكان يونس إماماً من أئمة العربية البصريين، وكان من الذين درس عليهم سيبويه قبل اتصاله بالخليل ونقل عنه في كتابه أقوالاً كثيرة، وتردد اسمه في ثمانين ومائة موضع من كتابه بل إنه اعتمد على أقواله في باين كاملين من

١ - فهرست ابن النديم ص ٦٣ ٦ طبقات النحويين للزبيدي - يونس - .

٢ - الأشباه والنظائر للسيوطي ج ٩ ص ٤٤٠ .

أبواب كتابه . (١)

ولا يبعد أنه لقي كثيراً من الفصحاء الذين كانوا ينتابون البصرة ويتصلون بعلمائها ، وظل يعتمد عليهم وينسب مادة درسه بسماحة منهم حتى بعد خروجه إلى بغداد حيث لقي أبا زياد الكلابي (٢) وهو يزيد بن عبدالله بن الحر الأعرابي البغدادي ، ذكره ابن النديم في جملة الفصحاء الذين سمع العلماء منهم (٣) وكان يزيد هذا - كما حكى ابن النديم عن دعبل - قد قدم إلى بغداد أيام المهدي حين أعادت الناس المجاعة وأقام بها أربعين سنة وبها مات . (٤)

وأخذ عن أعراب آخرين كانوا قد نزلوا بغداد أيضاً كما في فقهس وأبي دثار ، وأبي الجراح ، وأبي ثروان وقد ذكر ابن النديم الثلاثة الأولين في جملة الفصحاء الذين نقل أسماءهم من خطوط العلماء . (٥)

وقد قال فيهم الكسائي ، يخاطب يحيى بن خالد بن برمك : « هذه العرب بيا بك ، قد جمعتهم من كل أوب ، ووفدت عليك من كل صقع ، وهم فصحاء الناس ، وقد قنع بهم أهل المصريين ، وسمم أهل الكوفة ، وأهل البصرة منهم » . (٦)

وكان ذهاب القراء إلى البصرة ورجوعه إلى بغداد - في أكبر القطن -

(١) وهما : الباب الخاص بتصغير نحو حمراء وصفراء ( مما كان على ثلاثة أحرف ثم لحقته همزة التانيث فصار على خمسة أحرف . . . والباب الخاص بتصغير ما كان على أربعة أحرف فلحقته ألف ونون كما لحقت عثمان . - الكتاب : ج ٢ ص ١٠٧ . ١٠٨ . ١٠٩ .

(٢) المزهر : ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٣) فهرست ابن النديم . ٦٥ - ٧٢ .

(٤) الفهرست ص ٦٧ .

(٥) الفهرست ص ٧٠ - ٧١ .

(٦) طبقات الصحابة المزبني - سيويه .

خلال السنوات الأربع ، أو الخمس ، التي كانت بين وفاة الخليل ، وقدم سيبويه إلى بغداد لمناظرة الكسائي ، لأن الفراء كان إذ ذاك ضمن الجماعة التي أحاطت بالكسائي لمؤازرته في أثناء المناظرة ، ومهدت لاختناق سيبويه بمساءلته ، وتخطئته قبل حضور مناظرة . وكان الفراء ممن عرف إذ ذاك بمصاحبة الكسائي فان سيبويه بعد ما لقي من علي بن المبارك الأحمر والفراء ما لقي قال لهما : « لست أكلمكما أو يحضر صاحبكما » (١)

ومنذ ذلك اشتدت غيرة علي أستاذه ، وتصبه علي سيبويه ، مع أنه قرأ كتاب سيبويه وأفاد منه ، ووجد بعضه تحت وسادته كما مر من رواية النحاس وكما يقول الصيوطي : « كان زائد المصيبة علي سيبويه وكتابه تحت رأسه » (٢) حتى إن النسخة التي أهداها الجاحظ إلى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات كانت بخط الفراء ومراجعة الكسائي . (٣)

قال الجاحظ : « أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ففكرت في شيء أهديه له فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه فلما وصلت إليه قلت له : لم أجد شيئاً أهديه لك مثل هذا الكتاب وقد اشتريته من ميراث الفراء فقال : والله ما أهديت لي شيئاً أحب إليّ منه » . (٤)

ويقال إن الجاحظ لما وصل إلى ابن الزيات أراد أن يعلمه بأنه أحضر معه كتاب سيبويه وأنه يرغب في إهدائه له . « فقال له ابن الزيات . أو ظننت أن خزائننا خالية من هذا الكتاب ؟ فقال الجاحظ : ما ظننت ذلك ولكنها بخط الفراء ، ومقابلة الكسائي ، وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ - يعني نفسه - فقال

(١) طبقات النحويين الزبيدي - سيبويه

(٢) بغية الوعاة ص ٤١١

(٣) دائرة المعارف الإسلامية - سيبويه .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٨٧ .

ابن الزيات : هذه أجل نسخة توجد ، وأعرها . فأحضرها إليه فسر بها ووقعت  
منه أجل وقع « (١)

وبالإضافة إلى ما عني به الفراء من رواية اللغة ودراحة صناعة الأعراب كان  
قد عني بالقرآن ، بتفسيره ورواية أحرفه وكان قد أخذ بعض هذه الأحرف عن  
الكسائي ، وعده ابن الجزري في جملة من رواها عنه وإن قال ، إنه من  
المقلين . (٢)

وكان للفراء كثير من الأعمال القرآنية متمثلة في كتاب « معاني القرآن »  
وكتاب « المصادر في القرآن » وكتاب « الجمع والتثنية في القرآن » . واختلطت  
هذه الأعمال بعضها ببعض فكان منها نحو الفراء .

وذلك لأن للنحو عند الكوفيين صلة بالأعمال القرآنية بل لا يزال النحو  
مستخراً لخدمة القرآن وأحرفه ، والقراءات في نظر نحاة الكوفة كانت من المصادر  
التي اعتمد عليها النحو الكوفي .

وقد عاش الفراء في زمن كان علم الكلام فيه قد خطا خطوات واسعة وكان  
منهجه قد أخذ يطنى على المناهج الدراسية فلا يبعد أن يكون الفراء كان قد وقف  
على شيء من علم الكلام واتصل بأصحابه بل قيل إنه كان متكلماً يميل إلى الاعتزال  
وإنه كان يتفلسف في تصانيفه ويستعمل ألفاظ الفلاسفة . (٣)

وكان بينه وبين ثمامة بن أشرس أحد أئمة المعتزلة صحبة وقد بدأت بينها  
يوم تصدى الفراء للاتصال بالمأمون واختلف إلى بابيه « فلما أن كان ذات يوم  
جاء ثمامة . قال : فرأيت له أبهة أدب فجلست إليه ففناشتمه عن اللغة فوجدته بجرأه ،  
وعن النحو فشاهدته نسيح وحده ، وعن الفقه فوجدته فقيهاً عارفاً باختلاف القوم ،

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٨٧

(٢) ابن الجزري : غاية النهاية ج ١ ص ٥٣٦ .

(٣) مصبغ الأدباء ج ٧ ص ١٠ . فهرست ابن الدبب ص ٩٩ .

وفي النجوم ماهرأ وبالطب خبيرأ وبأيام العرب وأشمارها حاذقأ . فقلت : من تكون ؟ وما أظنك إلا الفراء . فقال : أنا هو . فدخلت على أمير المؤمنين فأعلمته فأمر باحضاره لوقته فكان سبب اتصاله به (١)

ثم إن قريبي المأمون إياه مما يؤيد ميله إلى الاعزال لأن موقف المأمون من المتكلمين وقريبه أتباع المنزلة معروف لأنه كان منهم وكان شديد التعصب لمذهبهم وكان ممن قال يخلق القرآن وبالغ في ذلك حتى عمد إلى تسخير قوة الدولة في فرض هذا الرأي ، وأمر أن يؤخذ على قضاة الدولة عهد ألا يقبلوا شهادة من لا يقول بخلق القرآن .

فالفراء إذن - بالإضافة إلى تخصصه في العربية والقرآن - كان قد أفاد من الثقافات الجديدة ، كما سمعنا من ثمامة بن أسرس ، في حديثه عنه ، ومقابله إياه ، ومفاتيحه عن تلك الألوان الثقافية المتنوعة ، لذلك أعجب به المأمون ، وقربه منه ، وعهد إليه بتأديب ولديه ، وبلغ الفراء من أنفسها مبلغاً عظيماً ، حتى بالغ في إكرامه وإعظامه ، وأظهر آله من التوقير والاحترام ما جعل المأمون يوماً يسأله عن هو أعز الناس ، فاذا قال الفراء : أعز الناس أمير المؤمنين . قال له المأمون : بل أعزهم من إذا نهضت فقاتل على تقديم عليه وإيا عهد المصلحين ، حتى يرضى كل واحد منها أن يقدم له فرداً . في قصة معروفة مشهورة (٢)

وبلغ من إعجاب المأمون به ، ووثوقه بحذقه أن أمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو ، وما سمع من العرب ، وهياً له كل ما يلزمه للقيام به ، ودعا الوراقين إليه ليكتبوا ما عليه عليهم ، وينسخوه ، حتى صنف كتاب الحدود . (٣)

(١) نزهة الألباء ص ١٣٣ شفرات الذهب لابن العماد ج ٢ ص ١٩ .

(٢) نزهة الألباء ص ١٣٠ - ١٣٢ .

(٣) نزهة الألباء ص ١٢٨ .

وكان ابن النديم يرى لتأليف كتاب الحدود سبباً آخر، فقد ذكر « أن جماعة من أصحاب السكمانى صاروا إليه وسألوه أن يعلى عليهم أبيات النعوى ففعل فلما كان المجلس الثالث قال بعضهم لبعض : إن دام هذا على هذا علم الصبيان والوجه أن يتعد عنه فغضب وقال : سأولئى القهود فلما قدمت تأخروا . والله لأملين النحر ما اجتمع اثنان ، فأملى ذلك ست عشرة سنة » . (١)

ويبدو لى أن كتاب الحدود وما تضمنته من فصول من حد الاعراب فى أصول العربية ' و حد النصب المتولد من الفعل و حد ( من ورب ) و حد المند وغير ذلك من الحدود التى تعرض لموضوعات النحو المختلفة - كما ذكر ابن النديم « ٢ » - عمل ضخم لا يبعد أن يكون قد بدأه قبل اتصاله بالمأمون بدأه بأملائه طوال هذه المدة ' ولم ينسخ ما أملاه إلا بعد اتصاله بالمأمون وتبنيته لما كان يحتاج إليه الفراء لنسخه من أدوات ووراقين ' فحين اتصل بالمأمون فى السنوات الثلاث الأخيرة من عمره كان الكتاب قد نمت موضوعاته وتبنيته مواد .

تدل الحدود التى ذكرها ابن النديم على أن الفراء كان قد عرض لجميع أبواب النحو وأن له فى كل موضوع منها رأياً وإانه فى الواقع كذلك ' واقواله الكثيرة المبثوثة فى كتابه « معانى القرآن » والتى نقل النحاة كثيراً منها فى كتبهم تؤيد ما ذهبت إليه .

وعندى أن الفراء أشبه النحاة بالخليل بن أحمد - مع بعض الفروق بينهما - حدقا وسعة اطلاع واستفادة من الثغافات الأجنبية التى عرفت فى البيئات الدراسية .

وكان الكوفيون لذلك يرون فيه مثالا جديداً لم يروا له نظيراً بين أصحابهم ' فقال قائل منهم : « لولا الفراء ما كانت اللفظة ' لأنه حصلها وضبطها وتولاه لسقطت

(١) فهرست ابن النديم ص ٩٩ .

(٢) فهرست ابن النديم ص ١٠٠ .

العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس عليها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب» (١).

وقال قائل آخر: «لولا يكن لأهل بغداد من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بها الافتخار على جميع الناس» وقال: «الفراء أمير المؤمنين في النحو» (٢).

إلى غير ذلك من المبالغات التي كانت كانت تذهب من إعجابهم بالفراء وبما كان عليه من بصر بالعلوم وحذق بالعربية من جهة، والتي كان يحملهم عليها تمصيبهم الشديد ومنافستهم القوية لأهل البصرة الذين كانوا يفخرون بالخليل ابن أحمد وتلميذه سيبويه وبكتابتهم الذي نمتوه بأنه قرآن النحو وقالوا فيه: من أراد أن يعمل كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي، والذي إذا أراد إنسان أن يقرأه قالوا له: هل ركب البحر؟ تعظيماً له واستحضاراً لما فيه من جهة أخرى.

وبالمقارنة بين الفراء والكسائي نجد أن الكسائي كان نحوياً، وكان قارئاً، لا يغلب عليه أحد الوصفين، وأن الفراء كان قد غلب عليه الجانب اللغوي، وإن كانت له دراسات في القرآن وتفسيره وروايات لأحرفه.

والفراء من حيث تطور الدراسات القرآنية في الكوفة كان يعمل الدور الثاني لمدرسة الكسائي، وهي المدرسة القرآنية النحوية التي ظهرت في الكوفة، والتي تعتمد على الإقراء، والأعراب بمعناه الاصطلاحي جميعاً.

وإذا كان الكسائي قد وضع أسس هذه المدرسة الجديدة، وجمع لها مادة درسها، ورسم المنهج الذي يعتمد عليه إنشاؤها، فإن الفراء قد تكفل بأتمام البناء

(٢) معجم الأدباء ج. ٢٠ ص ١١٠

(٣) تهذيب التهذيب ج. ٩٩ ص ٢٩٢

وتعهد المدرسة بالنمو ، وأعاد النظر فيما جاء به الكسائي فأخذ منه ما يتفق مع طبيعة المدرسة ، وبني منهجها على أساس علمتى جديد .

\*\*\*

تفصيل الفراء :

ذكر أصحاب الطبقات والتراجم من تلاميذه : سلمة بن عاصم ، وإبا عبدالله الطوال ، ومحمد بن قادم . وهؤلاء الثلاثة هم الذين حملوا علم الفراء ، وأذا عوه في الدارسين ، ومن أخذهم عنهم : أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وكان يروى عن سلمة كثيراً ، وعنه روى حدود الفراء .

قال أبو العباس ثعلب ، فيما ذكره الزبيدي ، وابن النديم ، يضاهى بين هؤلاء الثلاثة : « كان الطوال حاذقاً بالمريية ، وكان سلمة حافظاً لتأدية ما في الكتب ، وكان أبو قادم حسن النظر في العلى » .

ولم أقف لسلمة بن عاصم ومحمد بن قادم على أقوال نحوية ، وهما فى أكبر الظن - كما يرويان كتب الفراء « معانى القرآن » ، والحدود ، والنوادر ، وغيرها . أما الطوال فله فيما أوردت كتب النحو بضعة أقوال ، منها :

أنه أجاز مثل قولهم : ضرب غلامه زيداً (١) ، وهو الذى منه الجمهور من النحاة ، لأن فيه عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة ، ويعزى هذا إلى الأخص أيضاً ، وصححه ابن مالك وابن جندي فيما زعم ابن مالك ، فقد قال هـ : « النحويون إلا أبا الفتح يحكمون عنع هذا ، والصحيح جوازه ، واستدل على ذلك بالسمع ، وأنشد أبياتاً منها قوله :

جزى ربه عنى عدى بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل (٢)

(١) شرح الأئمة ج ٢ ص ٥٥ - الهمج ج ١ ص ٦٦

(٢) شرح الأئمة ج ٢ ص ٥٥

ومنها : ذهبه - ومعها هشام بن معاوية صاحب الكسائي - إلى أن اللام  
في قولهم : إن زيدا لمنطوق جواب قسم مقدر قبل ( إن ) . (١)  
وأكبر الظن أن الكوفيين أخذوا برأيها هذا ، وعمومهم ، فمدوا اللام  
في قولهم : لزيد قائم ، جواب القسم أيضاً ، والقسم مقدر قبله .  
قال أبو البركات بن الأنباري : « ذهب الكوفيون إلى أن اللام في قولهم :  
لزيد أفضل من عمرو ، جواب قسم مقدر والتقدير : والله لزيد أفضل من عمرو ،  
فأضمر اليمين اكتفاء باللام عنها » . (٢)  
وقال الرضي : « فملى هذا ليس في الوجود عندهم لام ابتداء » . (٣)

\* \* \*

ومن قالوا إنه تلمذ للأفراء ، وأخذ عنه :

أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكلبى :

وقد سبق أن عرضت له ، وقلت : إنه كان إماماً من أئمة اللغة ، كما يشهد  
بذلك كتاباه : إصلاح المنطق ، وتهذيب الألفاظ وأقوال المعاصرين له من علماء  
العربية ، ولاكنه لم يكن بشيء في النحو ، واستندت في ذلك إلى ما كان بينه وبين  
معاصريه من مساومات لم يكن التوفيق فيها حليفاً ، وإلى شهادة هؤلاء بضعفه  
وما يؤيد شهادتهم من خلو كتب النحو من أقوال نحوية له .

\* \* \*

ومحمد بن سهراب :

وهو بغدادى المولد ، كوفي المذهب ، نشأ معلماً للعامة يخاصم القرآن ،

(١) مع الهوامع ج ١ ص ١٤

(٢) الأنصاف : مسألة ٥٨

(٣) شرح الرضى على التكمية ج ٢ ص ٣٣٧

والقراءات ، وكان ممن يقرأ بقراءة حمزة بن حبيب ، ثم أراد أن يختار لنفسه قراءة ، ففسد عليه الأصل والفرع ، كما قال ابن النديم . (١)  
وقول المترجمين له : إنه كوفي المذهب ، يريدون أنه نحوي على المذهب الكوفي ، فهو إذن قد جمع بين القراءة ، وعلم العربية ، وقالوا : إنه صنف كتاباً في النحو ، وكتاباً في القراءات .

وليس له أقوال كثيرة في النحو بين ما وقفت عليه من أقوال الكوفيين ، وكل ما وقفت عليه من أقوال : بضع مسائل جاء بعضها في « همع الهومع » للسيوطي ، وبعضها الآخر في شرح الأشموني على ألفية ابن مالك . (٢)  
ومما ذهب إليه ابن سمدان :

١ - جواز نعت المختلفين في العمل ، المتحددين في النسبة ، نحو خاصم زيد عمراً الكريمان ، وهو مذهب الفراء أيضاً ، إلا أنه خالفه فيما يغلب على النعت . « فالنص عن الفراء : أنه إذا أتبع غلب المرفوع ، فتقول : خاصم زيد عمراً الكريمان . ونص ابن سمدان على جواز إتباع أي شئت ، لأن كلا منها مخاصم ومخاصم » . (٣)

وكان البصريون ينكرون هذا ، وكان الخليل وسيبويه يشترطان الاتحاد في العمل ، بل أن يكون العمل من وجه واحد ، « فان الجر بن ، أو الرافعين إذا اختلفا فيها بمنزلة الجر والرفع » . (٤)

٢ - وخالف ابن سمدان الكوفيين في عدم إجازة الجمع بين « يا » ، والمعرف بأل ، واستثنى من ذلك : اسم الجنس ، المشبه به ، نحو : يا الأسد

(١) فهرست ابن النديم ، ص ١٠٤

(٢) همع الهومع ج ١ ص ١٧٤ ج ٢ ص ٢٥ شرح الأشموني ج ٣ ص ٦٩

(٣) شرح الأشموني ج ٣ ص ٦٩

(٤) الكتاب ج ١ ص ٢٤٧

شدة ، ويا الخليفة هيبه . (١)

نحو الفراء :

ذكر المترجمون للفراء كتباً كثيرة بعضها في اللغة ، وبعضها في النحو ، وبعضها في التفسير وأكثرها مما يتصل باللغة والنحو ، فذكر ابن النديم من كتبه : كتاب المصادر في القرآن ، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن ، وكتاب الوقف والابتداء ، وكتاب النوادر ، وقد رواه تلميذه سامة بن عاصم ، وكتاب المقصور والمدود وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب الحدود وكتاب معاني القرآن . (٢)

وليس من هذه كتاب واحد جامع لأصول النحو ومسائله أو متمحض لموضوعات النحو سوى كتاب الحدود كما تشهرنا به الموضوعات التي انبثت من الكتاب عليها ، والتي ذكرها ابن النديم وهو كثير من الكتب إنما ملأه الفراء وجمعه ورواه تلميذه .

ولم يبق من كتبه - فيما نعلم - إلا كتابان :

١ - كتاب الأيام والليالي ، وهو كتاب في اللغة تناول موضوعاً خاصاً يمتدق بالأيام والأسابيع والشهور وأسمائها العامة المعروفة وأسمائها التي يستعملها فريق من العرب دون فريق كتسمية الثلاثاء مثلاً بجبار والأرباء بدبار وكتسمية شهر ربيع الأول بنحوان مخففاً ومشدداً وجمادى الآخرة بنحنين كأمر وسكيت إلى غير ذلك ، وعرض أيضاً لأفرادها وتثنياتها وجمعها .

وقد بنى الكتاب على ثلاثة عشر باباً ، خص الباب الأول بتسمية أيام الأسبوع والباب الأخير بصلاة الشاهد العرب .

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة حديثاً موجودة في دار الكتب المصرية

(١) همع الروامع ج ٢ ص ١٧٤

(٢) فهرست ص ١٠٠

ضمن مجموعة من الرسائل رقمها ( ٣٣٣٧ لغة ) وفلم لنسخة منه في مكتبه اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية .

وقد نقل السيوطي نصاً منه في أسماء بعض الشهور ، فقال : « قال الفراء : خوان من العرب من يخففه ، ومنهم من يشده (١) ، ووبصان ، منهم من يقول بوبصان ، على القلب ، ومنهم من يسقط الواو ، ويقول : بصان : مضموم مخفف (٢) ، والحنين ، منهم من يفتح حاءه ، ومنهم من يضمه (٣) ، قال : وجادى الآخرة يسمى ورنه ، ساكن الراء ، ومنهم من يقول : رنة كزنة . قال : وذو القعدة يسمى «واعا» . (٤)

ومما قاله الفراء فيه أيضاً : « ومن العرب من يسمى الأحمد : أول ، والائنين : أهون ، والثلاثا ، جبار ، والأربعاء : دبار ، والخميس : مونس ، والجمعة : العروبة ، والسبت : شيار » . (٥)

\* \* \*

(٦) وكتاب معاني القرآن :

ومن هذا الكتاب عدة نسخ في دار الكتب ، بعضها مخطوط ، وبعضها مصور ، وتعمل إحدى لجان دار الكتب لإخراجه بإحداث تصحيحه ، ومقابلة نسخته ، ولعلها قد انجزت طبع بعض كراريس منه .

وهو مما أملاه الفراء عن حفظه ، وحمله منه أصحابه الذين لازموا وشهدوا

(١) وفي القاموس : الخوان كشداد ويضم : شهر ربيع الأول جمعه أخوانة .

(٢) وفي القاموس : بصان كغراب ورمان : شهر ربيع الآخر جمعه بصانات وأبصنة

(٣) وفي القاموس عنين كأمبر وسكيت وباللام فيها اسمان لجادى الآخرة والأولى

جمعه أحنة وحنون وسنان

(٤) المزمر ج١ ص ١٣٢

(٥) الايام والليالي ص ٢٧٧ من المجموعة المخطوطة

مجلس إملائه ، ولم ير معتمداً في إملائه على نسخة ، أو كتاب ، كما يقول راوى هذا الكتاب : أبو عبد الله محمد بن الجهم بن هارون .

قال ابن الجهم في أول النسخة : « هذا كتاب فيه معاني القرآن ، أملاه علينا أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء ، برحمه الله ، عن حفظه ، من غير نسخة ، في مجالسه أول النهار ، من أيام الثلاثاوات في شهر رمضان وما بعده ، سنة اثنتين ، وفي شهور سنة ثلاث ، وشهور من سنة أربع ومائتين » . (١)

فليس صحيحاً - على هذا - أنه ألغى للمأمون ، كما جاء في رواية ابن العباد (٢) ، لأن المأمون لم يصل إلى بغداد ، ولم يتصل به الفراء قبل سنة أربع ومائتين ، وحين جاء المأمون إلى بغداد كان الفراء - كما يفهم من قول ابن الجهم - قد انتهى من إملائه الكتاب ، لأنه انتهى من إملائه في الشهور الأولى من سنة أربع ومائتين للهجرة .

ولعل الصواب ما ذكره الزبيدي وابن النديم من أن « عمر بن بكير كان من أصحابه ، وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل فكتب إلى الفراء : إن الأمير الحسن بن سهل ربما سألتني عن الشيء بمسألة من القرآن فلا يحضرنى فيه جوابه ، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً أو تجمل في ذلك كتاباً أرجع إليه ففعلت » . (٣)

فقال الفراء لأصحابه : « اجتمعوا حتى أملي عليكم كتاباً في القرآن . وجعل لهم يوماً ، فلما حضروا خرج إليهم . وكان في المسجد رجل يؤذن فيه ، وكان من القراء ، فقال له الفراء : اقرأ . فبدأ بفاتحة الكتاب ففسرها ثم صرف في الكتاب كله

(١) معاني القرآن للفراء ص ١

(٢) سفرة الذهب ج ٢ ص ١٩

(٣) فهرست ابن النديم ص ٩٩

على ذلك يقرأ الرجل ويفسر الفراء . (١)

وتم الكتاب في أربعة أجزاء (٧) أو في ألف ورقة (٣) وقد اجتمع  
لاملائه خلق كثير منهم ثلاثون قاضياً «٤» وأراد وراقوه أن يعدوا الذين  
اجتمعوا لاملائه فلم يضبطوا عددهم . (٥)

وقد بنى الفراء كتابه ، كما أشارت إليه الفصحة على التفسير ولكنه كان قد  
حشا تفسيره بكثير من التفسيرات اللغوية لشرح غريب القرآن وبكثير من الآراء  
النحوية على المذهب الكوفي لأعراب ما يشكل إعرابه من آياته موضحاً آراءه  
بكثير من النقول عن العرب بسماعه هو ومن وثق به من فصحاء الأعراب كأبي  
ثروان أو بروايته عن الكسائي أو بحكايته عن يونس أحياناً ، ومستشهداً لأقواله  
في إعراب الآيات بكثير من القراءات وشواهد الشعر التي صححت روايتها  
عنده .

ولعل هذا الكتاب هو المصدر الذي صدرت عنه كتب النحو تحمل آراء  
الفراء النحوية ، والمنبع الذي استقى منه تلاميذه ، وأتباع المذهب الكوفي ،  
وقد تناهت إلى أبي العباس ثعلب ، نسخة من هذا الكتاب ، كان عليها على  
أصحابه ، ولم يكن أبو بكر بن الأثيري ممن حضر لاملاء أبي العباس ، لذلك  
كان يقول : « ما أسيت على شيء كما أسيت على تركي السماع لكتاب المعاني للفراء  
من أبي العباس أحمد بن يحيى ، وإنما كان يقطني عنه الحديث » . (٦)

(١) طبقات الزبيدي ( الفراء )

(٢) فهرست ابن النديم ص ١٠٠

(٣) طبقات الزبيدي - الفراء -

(٤) شذرات الذهب لابن العماد ج ٢ ص ١٩

(٥) نزهة الإلهاء ص ١٢٨

(٦) طبقات الزبيدي - أصحاب الفراء - سلة بن عاصم -

وعن طريق هذا الكتاب ، وما حمله تلاميذه عنه نقل إلينا نحو الفراء ،  
أو نحو المدرسة الكوفية ، لأن أكثر ما كان للكوفيين من آراء إنما هو للفراء ،  
ولو تصفحت كتب النحو المتأخرة ، ورصدت نقولها عنه ، وعن سائر الكوفيين  
لرأيت نقولها عن الفراء تزيد على نقولها عن سائر الكوفيين .  
يضاف إلى هذا نقولها التي حلت من النسبة إلى أحد الأئمة ونسبت إلى  
الكوفيين عامة لأنى أزعهم أن أكثر هذه النقول يرجع إلى أقوال الفراء ، مؤيداً  
زعمى هذا بأمثلة كثيرة تناهت إلى من تتبع أقواله في كتب النحو المختلفة ،  
أذكر منها على سبيل المثال :

( ١ ) - قال أبو البركات بن الأنبارى : « ذهب الكوفيون إلى أن نعم  
ويئس اسمان مبتدآن . وذهب البصريون إلى أنها فعلان ماضيان لا  
يتصرفان » . ( ١ )

وهذا الرأي إنما هو للفراء فهو الذى حكى « أن أعرابياً بشر بمولودة فقيل  
له : نعم المولودة مولودتك . قال : والله ما هى بنعم المولودة » ( ٢ ) يؤيد رأيه  
باسميتها بدخول حرف الجر عليها .

( ٢ ) وقال أبو البركات أيضاً : « ذهب الكوفيون إلى أن ( لولا ) ترفع  
الاسم بمدها نحو : لولا زيد لأكرمك ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع  
بالابتداء . ( ٣ )

وهذا الرأي إنما هو للفراء أيضاً فقد جاء فى كتاب « معاني القرآن »  
ما نصه : « قوله تعالى : ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات . رفعهم بلولا ،  
ثم قال : أن تطوهم ، فأن فى موضع رفع بلولا » . ( ٤ )

( ١ ) الانصاف - مسألة ١٤ -

( ٢ ) شرح المنصل لابن يعقوب ج ٧ ص ١٢٧ ، ١٢٨

( ٣ ) الانصاف - « مسألة ١ »

( ٤ ) معاني القرآن للفراء - ورقة ٦٠

وقال الرضى : « قال الفراء : لولا هي الرافعة للاسم الذي بمدها لاختصاصها  
بالأسماء ، كسائر العوامل » . (١)

( ٣ ) وقال أبو البركات أيضاً : « اختلف مذهب الكوفيين في رفع  
الفعل المضارع نحو يقوم زيد ، ويذهب عمرو ، فذهب الأكثرون إلى أنه  
يرتفع ، لتعريفه من العوامل الناصبة والجازمة . وذهب الكسائي إلى أنه يرتفع  
بالزائد في أوله ... وذهب البصريون إلى أنه يرتفع ، لقيامه مقام الاسم » (٢)

وهذا الرأي الذي ذهب إليه الأكثرون ، والذي شاع على ألسنة المعربين  
حتى يومنا هذا ، إنما هو للفراء ، فقد قال الرضى : « عامل الرفع في المضارع  
هو التجرد عن العوامل ، كما هو مذهب الفراء » . ٣

( ٤ ) وإلى الفراء ينتهي ما عرف عن الكوفيين من « النصب على الخلاف »  
فهو صاحب الرأي فيه ، وإن خالفه الكوفيون في نطاق تطبيقه ، فقالوا به في  
مسألتين : نصب الظروف التي تقع أخباراً ، ونصب المفعول معه ، وتمرد هو  
عنهم بمسألة ثالثة : هي نصب الفعل المضارع الواقع بعد الواو والفاء المسبوقتين بنفي  
أو طلب .

وليس نحو الفراء هو هذه الأقوال التي تتصل بالتأليف وعلمه ، أو بالنحو  
بمفهوم الخاص حسب ، لأن نحره هو نحو الكوفة ، وهو نحو عام ، كما عرفه  
البصريون الأولون ، في عهد الخليل ، وسيبويه ، اندرجت فيه مسائل صوتية ،  
وأخرى اشتقاقية ، وأخرى نحوية .

وإذا تتبعنا أقواله رأينا قد عرض لكل هذه الموضوعات ، عرض لمسائل  
تتعلق بالأصوات ، من حيث نجاتها ، ومن حيث امتلائها ، ومن حيث ما يترتب

(١) شرح الرضى على الكافية ج ١ ص ١٠٤ .

(٢) الانصاف - « مسألة ٧ » .

(٣) شرح الرضى على الكافية ج ٢ ص ٢٣١ .

على اختلافها من ظواهر لغوية كالادغام وغيره ، وعرض لمسائل تتعلق بأوزان الكلمات ، وأوضاع الأبنية ، وعرض لمسائل تتعلق بالتأليف وعمله .  
وحين نعرض لنحو الكوفة ، ومنهج الكوفيين في دراستهم النحو ، فيما يأتي من فصول ، نكون قد أوفينا الكلام في آرائه ، وأقواله ، لأن نحو الكوفيين في جملته هو نحو الفراء ، وإن كان الكسائي هو صاحب المنهج الذي سار عليه الفراء ، ومن جاء بعده من الكوفيين .

\* \* \*

### منهج الفراء في دراسة النحو :

بالرغم مما عرف عن الفراء من ملازمة لبعض المعتزلة ، واتصال آرائهم ، ومصاحبة للمأمون الذي عرف بميله إلى الاعتزال ، وتقريبه المعتزلة ، بل تمصبه لهم ، فإن منهجه في دراسة اللغة والنحو هو المنهج الذي رسم حدوده أستاذه علي بن حمزة الكسائي .

ولم يخالف المعتزلة في منهجه الدراسي حسب ، فقد خالفهم في بعض ما تناولوه بالبحث من مشكلات في العقائد ، امتحنوا بها الناس أيام عزتهم وقوة سلطانهم ، كالأقول بخلق القرآن ، والقول في تفسير إعجازه وغيرها . . فقد كان الفراء يشايح أهل السنة السنة في القول بإعجازه اللغوي (١) وأن إعجازه يقوم على أنه نزل بأفصح اللغات على الإطلاق .

ولدينا من النصوص ما يدل على أن الفراء كان يميل إلى القول بالإعجاز اللغوي ، وهو ما كان يردده من أن لغة القرآن أفصح اللغات ، وأن أسلوبه أصفى الأساليب ، لأنه نزل بلغة قريش التي هي أنقى اللغات وأصفهاها ، لأنها خلت « من مستبشع اللغات ومستقيح الأنماط من ذلك الكشكشة ، وهي في ربيعة

(١) العربية - يوهان فك تهربب الدكتور النجار ، ص ٥ .

ومضّر ، يجعلون بسد كاف الخطاب في المؤنث شيئاً ، فيقولون : رأيتكش ، وبكش ، وعليكش « (١) إلى آخر كلامه .

وكان « يرد على بعض علماء الشعر ورواة الأخبار التاريخية من عرب البادية الذين لا يريدون أن يلمسوا إعجاز القرآن في قوله اللغوية بل يرون كمال الفصاحة في لغة عرب البادية » . (٢)

ولا يعني هذا أن الفلسفة الكلامية لم تترك أثراً في تفكيره ، فالراصد أقواله يحس بجلاء ما في آرائه النحوية ، وتفسيراته لوجوه الاعراب من ظل التفكير الفلسفي ، فلا يزال يقاب المسألة على وجوهها المختلفة ، ويمل كل وجه منها ، شأن العالم الذي يفترض في المسألة الواحدة فروضاً متعددة ، ويجري تجاربه على كل فرض منها على حدة ليصل إلى الغرض الذي قصد إليه .

ولتوضيح هذا يحسن أن نستعين ببعض الأمثلة التي تشعبت فيها الوجوه الاعرابية ، فكان لكل وجه عنده موضع للتفسير والتعليل .

قال الفراء : « حتى ثلاثة معان في « يفعل » وثلاثة معان في الاسماء ، فإذا رأيت قبلها فعلاً ماضياً ، وبعدها « يفعل » في معنى مضى ، وليس ما قبل « حتى » « يفعل » يطول فارفع « يفعل » بعدها ، كقولك : جئت حتى أكون معك قريباً .

وكان أكثر النحويين ينصبون الفعل بعد حتى ، وإن كان ماضياً إذا كان لغير الأول ، فيقولون : سرت حتى يدخلها زيد فزعم الكسائي : أنه سمع العرب تقول : سرت حتى تطلع الشمس ، فرفع ، والفعل للشمس ، وسمع : إنا لجالوس فما نشعر حتى يسقط حجر بيننا ، رفع . وأنشدني الكسائي :

وقد خضن الهجير وعمن حتى  
بفرج ذاك عنهن المساء

(١) المزهر ج ١ ص ١٣٢

(٢) العربية ص ٥٤ .

وأُنشده :

وننكر يوم الروح ألوان خيلنا من الطمن حتى نحسب الجون اشقرا  
فنصب ههنا ، لأن الانكار يتناول ، وهو الوجه الثاني من باب حتى ،  
وذلك أن يكون ما قبل حتى ، وما بعدها ما خمين ، وهما ما يتناول ، فيكون  
« يفعل » فيه ، وهو ماض في المعنى أحسن من « فعل » فنصب .  
قال الكسائي : سمعت العرب تقول : إن البعير ليهرم حتى يجعل إذا  
شرب الماء مجبه ، وهو أمر قد مضى ، و « يجعل » فيه أحسن من « جعل » ،  
وإنما أحسنت ، لأنها تكون في الواحد على معنى الجميع معناه إن هذا ليكون  
كثيراً في الأبل .

والوجه الثالث : أن يكون ما بعد حتى مستقبلاً ، ولا تبال كيف كان  
الذي قبلها ، فنصب كقول الله عز وجل : « لن نبرح عليه عاكفين حتى  
نرجع » ، وهو كثير في القرآن . « ١٦ »  
والكنه بالرغم من هذا النقصي ، وهذا التقسيم الذي يكاد يكون عقلياً ،  
لم يخرج عن نطاق الاستعمال ، ولم يفترض وجوها ليس لها نظير في اللغات ، أو  
القراءات ، فقد استند إلى ما سمعه من الكسائي ، وإلى ما أنشده الكسائي ،  
واستند إلى ما جاء في القرآن الكريم أيضاً .

\* \* \*

ومثال آخر يظهر فيه تقسيم المسألة من جهة ، وتعلقه بالأساليب العربية  
من جهة أخرى ، في صورة واضحة ، وهو يتعلق بالمطف على الجزاء :  
قال الفراء : « فإذا جئت إلى العطوف التي تكون في الجزاء ، وقد أجهته  
بالفاء ، كان لك في المطف ثلاثة أوجه : إن شئت رفعت المطف مثل قولك : إن

تأتني فاني أهل ذلك ، وتوَجَّر ، وتحمَّد ، وهو وجه الكلام ، وإن شئت جزمت  
وتجمله كالمردود على موقع الفاء ، والرفع على ما بعد الفاء . قد قرأت القراء : « من  
يضل الله فلا هادي له ، ويذرهم » ، رفع وجزم . وكذلك : « إن تبدوا  
الصدقات فنها هي ، وإن تخفوها ، وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر » جزم  
ورفع ، ولو نصبت على ما تنصب عليه عطوف الجزاء إذا استغنى لأصبت ، كما  
قال الشاعر :

فإن يهلك الزمان تمر مطية      وتخبأ في جوف العباب قطوعها  
وإن جزمت عطفاً ، بعدما نصبت ، ترده على الأول كان صواباً ، كما  
قال بعد هذا البيت :

وتنحط حصان آخر الليل نحوه      تفصم منها ، أو تكاد ، ضلوعها  
وهو كثير في الشعر والكلام .

وأكثر ما يكون النصب في العطوف إذا لم يكن في جواب الجزاء الفاء ،  
فإذا كانت الفاء فهو الرفع والجزم ، وإذا أجب الاستفهام بالفاء فنصبت فانصب  
العطوف ، وإن جزمتها فصواب ، من ذلك : قوله في المتأففين : « لولا أخرجتني  
إلى أجل قريب فاصدق ، وأكن » ، رددت « وأكن » على موضع الفاء ، لأنها  
في محل جزم ، إذا كان الفعل إذا وقع موقعها بغير الفاء جزم ، والنصب على أن  
ترده على ما بعدها ، فتقول : « وأكون » ، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود :  
وأكون بالواو ، وقد قرأ بها بعض القراء . قال ( يعني القراء ) : وأرى ذلك  
صواباً . (١)

فقد رأينا كيف تتبع وجود المسألة ، وكيف حصرها ، ثم رأينا أنه لم  
يهمل الاستشهاد بالقرآن والقراءات ، وإن لم تكن من السبع أو العشر ، كقراءة

عبد الله بن مسعود ، ولم يهمل الاستشهاد بالشعر أيضاً ، لبني أحكامه على أساس من الواقع اللغوي بين الجماعات العربية .  
ورأينا أيضاً كيف كان يعمل أحكام الوجود المستخرجة من هاتين المسألتين ، ولكن طابع تعليقاته كان إلى روح الأساليب اللغوية أقرب منه إلى التفكير النظري المجرد .

\* \* \*

### مصادر دراسة الفراء

ومصادر دراسته - كما يستشف من أقواله المثبتة في كتبه ، أو المنقولة عنه في كتب النحاة - هي المصادر التي كان الكسائي يعتمد عليها ، وهي :  
أ - القرآن الكريم وقد مر بنا كيف أن الفراء - بوجه خاص - كان يضعه في المستوى الذي ينبغي وضعه فيه ، وهو المستوى الذي ينحط عنه أي مستوى لأي كلام بالفأ ما بلغ من نقاء التراكمب وخصوصها مما يشوه معالم الأسلوب .

ومر بنا أيضاً أن الفراء كان يستند في القول بمجازة اللغوي إلى أنه نزل بلغة قريش التي خلت من مستبشع الالفاظ ، ومستبشع الالهجات ، كالكشكشة والمجمجة ، والاستنطاء ، والعمنة وغيرها .

ب - والقراءات المختلفة ، وإن شئت في نظر نحاة البصرة ، وهو لا يني يستشهد بها ، ويصوبها ، ويحتج بها .

ج - وشواهد كثيرة من الشعر وكلام العرب ، سواء أوصل إليه عن طريق المشافهة ، باتصاله بالفصحاء ، وروايته عن من كان يثق به من الأعراب ، كأبي ثروان ، وأبي الجراح ، وأبي فقمس وغيرهم ، أم عن طريق المناقاة ، كما يروي عن الكسائي ، ويونس ، وغيرها .

وهو يحتج بما سنع من هؤلاء ، ويبني عليه كثيراً من آرائه ، كما مر من

ذهابه إلى اسمية «نهم وبس» لأنه سمي من يشق به : « والله ما هي بنهم الولد» .  
وكما ذهب إليه من جواز إبطال عمل « إن » إذا بعدت عن اسمها بفواصل  
وقم بينها ، بانياً رأيه هذا على ما حكاه هو والسكسائي جيمها ، من قولهم :  
« إن فيك زيد لراغب » (١) ، معللاً ذلك بأنها تباعدت عن الاسم بوقوع  
هذا الفاصل . - يعني ( فيك ) - بينها وبين اسمها ، كما بطل عملها حين فصلتها  
« ما » عن اسمها ، في قولهم : إنما زيد قائم .

وكما ذهب إليه من تجويز إعراب العدد المركب قياساً ، إذا أضيف استناداً  
إلى ما سمعه من أبي فقمس الأسدي ، وأبي الهيثم العقيلي : ما فعلت خمسة  
عشرك . (٢)

وكما فعل من حشر « هذا ، وذا » في زمرة الأسماء الموصولة ، ممتداً في  
هذا على ما أنشد من كلام العرب ، فقد قال : « العرب قد تذهب بهذا وذا إلى  
معنى « الذي » ، فيقولون : ومن ذا يقول ذلك . في معنى : من الذي يقول ذلك  
وأنشدوا :

عديس ما العباد عليك أمانة أمنت وهذا تحملين طليق  
كأنه قال : والذي تحملين طليق . « (٣)

والأمثلة كثيرة إلى حد يذهب منه الحصر في هذا المجال المحدود .  
فهو كما نرى ، قد تأثر أستاذه في الاعتماد بالقراءات وشواهد الشعر  
وبالأمثلة القليلة المجموعة من العرب وإن كانت مما ينكره البصريون أو يغلطونه  
أو يهدونه شاذاً لا يقاس عليه .

\* \* \*

(١) مجالس أئمة ، ٨١ ، ٤ .

(٢) شرح الأسموني ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

(٣) معاني القرآن للفراء ، ورقة ٢٠ .

## بين الكسائي والفراء :

والفراء في آرائه يوافق الكسائي في أكثر المسائل والأصول ، لأنه درس عليه ، وأخذ عنه منهجه ، وكثيراً ما نرى النحاة في نقولهم عن الكسائي والفراء يقولون : ذهب الكسائي والفراء إلى كذا وكذا ، أو كان الكسائي والفراء ينهيان إلى كذا وكذا . . . إلى غير ذلك من العبارات .

ولكن نحو الفراء يختلف عن نحو الكسائي من حيث الشكل والموضوع . أما الشكل فالكسائي في نحوه كان يحتذى منهج المحدثين والفراء ، وكان أبعد ما يكون عن التأثير بالتفكير الفلسفي ، فلم نعرف له صحبة مع أحد المتكلمين ، ولا اتصالاً بأرائهم ، ولم نلمس في نحوه أي أثر للتفكير الكلامي ، اللهم إلا كلامه في القياس ، واعتداده به في دراسته ، وقد سبق أن قلت : إن تأثيره بمنهج المتكلمين كان بواسطة دراسته النحو البعري ، الذي خضع في منهجه وأصوله للتفكير الكلامي خضوعاً تاماً .

وكان الفراء من المتكلمين ، وكان يدعو في مصنفاته منحي الفلاسفة ، كما قيل عنه ، وقد ترك ذلك في نحوه ظلاً واضح المعالم ، تمثل في عملياته القضايا النحوية وفلسفة الأحكام ، يمثل ما كان البصريون يعملون ويفلسفون .

وأما الموضوع فللغراء أقوال كثيرة يخالف بها أستاذه ، إما لأن مقاييسه العامة تختلف عن مقاييس الكسائي ، وإما لأنها يختلفان فيها من حيث وجهة النظر الخاصة ، التي قد تختلف بين حين وحين في الشخص الواحد . وكثيراً ما يختلف تلاميذ المدرسة الواحدة في وجهات النظر الخاصة اختلافاً يرجع إلى ما كان عليه كل منهم من حنق ، وبراعة ، وسعة اطلاع ، كما اختلف سيبويه مع الخليل ، وكما اختلف الخليل مع يونس ، وكما اختلف الأخفش مع الخليل وسيبويه وهم جميعاً ينزعون نزعة واحدة ، وينسبون إلى مدرسة واحدة .

فليس شريباً إذن أن تختلف وجهة النظر عند الكسائي والفراء ، وقد اختلفت فعلاً ، وتمثل هذا الاختلاف في هذه المسائل الكثيرة التي كان يقول الكسائي فيها بقول يخالفه الفراء فيه ، والأهمثلة على هذا كثيرة :

١ - فلستنا بناسين ما كان بينهما من خلاف في رافع الفعل المضارع إذ ذهب الكسائي إلى أنه ما فيه من حروف المضارعة ، وذهب الفراء إلى أنه تجرده عن الناصب والجازم .

٢ - ولا ما كان بينهما من خلاف في « نعم وبئس » إذ ذهب الكسائي إلى فعليتهما والفراء إلى اسميتهما .

٣ - ولا ما كان بينهما مما يتعلق بفعليّة « ما أفعل في التعجب » واسميته إذ تابع الكسائي البصريين في فعليته والفراء - ومعه سائر الكوفيين - يقول باسميته ، مستنداً إلى وروده ، مصغراً في قول الشاعر :

« يا ما أميلح غزلاً نأشدن لنا »

فلو كان فعلاً لما جاز تصغيره ، لأن الأفعال لا يصغر شيء منها (١) .

٤ - ولما اختلفا فيه من تفسير المصعب في قوله تعالى : « فأمنوا خيراً لكم » ، فقد كان الكسائي بقدر « كان » محذوفة أي فأمنوا يكن خيراً لكم . وكان الفراء يقدر مصدر محذوفاً ، أي فأمنوا أيماً خيراً لكم (٢) ، وكان الفراء يقول : « خير منصوب باتصاله بالأمر ، لأنه من صلة الأمر (٣) » .

٥ - ولما اختلفا فيه من إجازة رفع المعطوف على اسم إن في جميع الأمثلة أو بعضها ، فكان الكسائي يجيز ذلك مطلقاً ، وكان الفراء يفصل « فلم يمنع رفع

(١) شرح الأسمون ج ٣ ص ١٨ ، وشرح المنصل لابن بهيش ج ٢ ص ١٤٣ .

(٢) مجالس نعلب ص ٣٧٤ .

(٣) معاني القرآن - ورقة ١٢٠ .

المعطوف ، ولم يجوزه مطلقاً ، بل فصل وقال : إن خفي إعراب الاسم بكونه  
مبتدئاً أو مهرباً مقدر الإعراب جاز الجمل على الجمل . . . وإلا فلا (١) .

وقد عرض الفراء لهذا في تفسيره قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين  
هادوا ، والصابئون ، والمصاري » ، فأرب « والصابئون » على أنها معطوفة على  
« الذين » وعلى إعرابه هذا بأن « الذين » حرف على جهة واحدة في رفعه ونصبه  
وحذفه ، فلما كان إعرابه واحداً ، وكان نصب ( إن ) ضعيفاً ، وضمفه أنه يقع  
على الاسم ولا يقع على الخبر ، جاز رفع الصابئين ، ولا أستحب أن أقول : إن  
عبدالله وزيد قائمان ، لتبين الإعراب في « عبدالله » ، وقد كان الكسائي يجوز  
لضعف « إن » وقد أشهدونا هذا البيت رفعاً ونصباً :

فإن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقياراً بها لغريب  
وقيار . وليس هذا بحجة للكسائي في إجازته أن عمراً وزيد قائمان ، لأن  
قياراً قد عطف على اسم مكنى ( يعني اسماً مضمراً ) والمكنى لا إعراب له ، فسهل  
ذلك منه ، كما سهل في « الذين » إذا عطف عليه « والصابئون » ، وهذا أقوى  
في الجواز من الصابئين ، لأن المكنى لا يتبين فيه الرفع في حال ، والذين قد يقال  
الذنون ، فترفع في حال (٢) .

وقد أشار القدماء إلى مواضع الاختلاف بينها ، كما عرضوا لمسألة اختلفت  
فيها وجهة نظر كل منهما ، حتى الكوفيون منهم ، وقد أورد أغلب مسائل كثيرة  
اختلف فيها الكسائي والفراء (٣) .

(١) شرح الرضي على الكافية ج ٢ ص ٢٨٧

(٢) معاني القرآن - ورقة ٤٥

(٣) انظر بجالس أغلب ص ٧٤ ، ٧٨ ، ٢٦٠ ، ٣٩٢ ، ٣٧٨ ، ٤٢٢ ، ٤٤٧٨

وكان أبو الطيب اللغوي - فيما يروي السيوطي عنه - يقول وأما علماء الكوفيين بعد الكسائي فأعلمهم بالنحو الفراء ، وقد أخذ علمه عن الكسائي وهو عمدته ، ثم أخذ عن أعراب وثق بهم مثل أبي الجراح ، وأبي نروان وغيرها وأخذ نبذاً عن يونس ، وعن أبي زياد الكلابي ، وكان الفراء ورعاً متديناً ، وكان يخالف الكسائي في كثير من مذاهبه (١) .

وكان الأستاذ طه الراوي يقول - بعد أن عرض للخلاف بين المذاهب النحوية - وهناك مذاهب متفرعة عن هذه يسر حصرها ، إذ يكاد يكون لكل إمام مذهب يخالف فيه غيره ، ولو من بعض الوجوه ، فلسبويه مثلاً آراء يخالف فيها أسيافه ، وللأخفش آراء يخالف فيها سيبويه وسائر البصرية ، وقد ألف المبرد - وهو بصري الزعة - كتاباً في الرد على سيبويه .

وللفراء مذهب يتحرف فيه عن مذهب الكسائي ، في غير ما موطن ، وهكذا نجد لكل أعلم من أعلام العربية آراء يتفرد بها ، تكثر أو تقل . عقداً ما أوتيته من بسطة في العلم وبراعة في الابداع ، ولا يمكن يرجع ذلك كله إلى الأمام (٢) الأربعة (٣) .

إذن فاختلاف وجهة النظر عند الكسائي والفراء لا يمس وحدة المنهج العام الذي رسمه الكسائي وسار عليه أتباع المدرسة الكوفية .

(١) الزهر ج ٢ ص ٢٥٦

(٢) يقال للام : الأمة والأمة . جمع أمات وأمات ، أو هذمن يعقل وأمات لما لا يعقل .

(٣) نظرة في النحو - طه الراوي ، مجلة التجمع العلمي العربي بدمشق م ١٤ - ج ٩ ص ١٠٠

## أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب

وهو ثالث ثلاثة قامت على أعمالهم مدرسة السكوفة النحوية ، وهو بغدادى المولد والمنشأ ، وكان شيبانياً بالولاء .

كانت ولادته سنة مائتين للهجرة ، وكان من الأحداث التى وعتهها ذا كرتة عن طفولته : مشاهدته للمأمون لما قدم من خراسان ، وذلك سنة أربع ومائتين للهجرة ، وكان أبوه ساعياً يحميه على يده لمشاهدة المأمون ، وهو يمر بين صفيين من الناس هرعوا إلى مشاهدته في طريقه إلى قصر الرصافة ، ببغداد ، وكان أبوه يقول له : « هذا المأمون ، وهذه سنة أربع » ، يقول أبو العباس : « حفظت عنه إلى الساعة » وكان سنى يومئذ أربع سنين ﴿ ١ ﴾ .

ولم ير أبو العباس ثعلب الفراء ، ولم يتصل به ، ولم يأخذ عنه ، لأن الفراء توفى سنة سبع ومائتين للهجرة ، وكان عمر ثعلب إذ ذاك سبع سنين ، وإنما أخذ النحو عن جماعة منهم سلمة بن عاصم تلميذ الفراء ، وأخذ اللفظ عن جماعة منهم : محمد ابن زياد الأعرابي ، تلميذ الكسائى ، ولكنه أكب على دراسة كتب الفراء وحفظ مسائله ، وكان مرجع أهل السكوفة في رواية أقوال الكسائى والفراء ، وهو الذى حفظ للناس أكثر أعمالها ، وأملى أقوالها وآراها في مجالسه ، ودون

لهم ذلك فيما آلف من كتب كثيرة ذكرها المترجمون له ، وذكر القفطي منها كتاب اختلاف النحويين ، وكتاب معاني القرآن ، وكتاب ما تلحن فيه العامة ، وكتاب القراءات ، وكتاب معاني الشعر ، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف ، وكتاب المجالس ( وقد طبع حديثاً ) ، وكتاب الفصيح ( طبع أيضاً ) وغيرها . ولم يبق من أكثر ما نسب إليه من مصنفات إلا عنواناتها ، تتناقلها كتب التراجم والطبقات . وقد أجمل لنا حياته العلمية فقال : « طلبت العربية واللغة في سنة ست عشرة ومائتين ، وأبتدأت بالنظر في حدود الفراء ، وسنتي ثمانى عشرة سنة ، وبلغت خمسا وعشرين سنة ، وما بقي شيء من كتب الفراء في هذا الوقت إلا قد حفظته » . (١) ومنذ ذلك الوقت أخذ يهيئ نفسه للرياسة العلمية ، ويتصدر مجالس التدريس وعرف في البيئات العلمية ، وكان المفضل بن سلمة بن عاصم يقول « رأس أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوى ، واختلف الناس إليه في سنة خمس وعشرين ومائتين » (٢) .

\* \* \*

شهدت هذه الفترة التي عاش فيها أبو العباس ثعلب شدة المنافسة بين مدرستي البصرة والكوفة ، في شخص أبي العباس ثعلب ، وأبي العباس المبرد ، كان الأول زعيم نخاة الكوفة ، وكان الثاني زعيم نخاة البصرة . كان أبو العباس ثعلب قد جمع حوله أعلام من أصحابه وتلاميذه ، كعملي بن سليمان الأخفش ، وإبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي نسطورية ، وأبي

(١) القفطي - انباء الرواة على انباء النحاة ج ١ ص ١٣٩ وفهرست ابن النديم

(٢) القفطي - انباء الرواة على النحاة ج ١ ص ٩٤٢

بكر بن الأنباري ، وأبي بكر (١) محمد عبد الملك التاريخي السراج البغدادي ،  
والفضل بن سلامة بن عاصم ، وأبي إسحاق الزجاج وغيرهم ، وكان يلقنهم المسائل  
النحوية على المذهب الكوفي ، ويدربهم على المناظرات ، ويبحث بهم إلى كل من  
تحدثه نفسه أن يتصدر حلقة أو ينصب نفسه أستاذاً للتدريس في مساجد بغداد ،  
وكان كثيراً ما يرد الجامع مع قوم خراسانيون من ذوي النظر فيتكلمون ، ويجتمع  
الناس حولهم ، فإذا أبصر بهم أرسل من تلاميذه من يناقشهم ، فإذا انقطعوا عن  
الجواب انفض الناس عنهم ، (٢) .

وكان أبو العباس المبرد قد سجد شخص إلى ساصراء بأصر من المتوكل ، وفتح  
له المتوكل بابه ، وكان ينادمه ويحضر مجالسه الخاصة مع البحتري والفتح بن  
خاقان ، حتى إذا قتل المتوكل ضاقت به الحال ، فذهب إلى بغداد ، ولم يكن يعرف  
أحدًا من أهلها ، فأنهى به المطاف إلى الجامع الذي اعتاد أبو العباس ثعلب أن  
يصلي فيه ، وأن يجلي فيه على أصحابه ، فتوخى ( المبرد ) شهود صلاة الجمعة ،  
فأما قضيت الصلاة أقبل على بعض من حضر ، وسأله أن يفتح السؤال ليتسبب  
له القول ، فلم يكن عند من حضر علم ، فلما رأى ذلك رفع صوته ، وطفق يفسر ،  
ويوهم بذلك أنه قد سئل ، فصارت حوله حلقة ، وأبو العباس ( المبرد ) يصل في  
ذلك كلامه ، فتشوف أبو العباس أحمد بن يحيى إلى الحلقة ، فلما نظر إلى من حول  
أبي العباس أسرا بن السري الزجاج وابن الحائل بالهروض ، وقال لهما : فضا حلقة  
هذا الرجل ، ونهض معهما من حضر من أصحابه ، فلما صارا بين يديه قال له إبراهيم  
بن السري : أتأذن أعزكم الله في المناقشة ، فقال له أبو العباس : سل عما أحببت ،

(١) وهو أحد من روى عن ثعلب ، ولفب بالتاريخي لأنه كان يعني بالتواريخ وجمعها

(أبناء - ١٤١ الهامش )

(٢) الزبيدي - طبقات النحويين - المبرد

فسأله عن مسألة فأجابها عنها بجواب أفنمه ، فنظر الزجاج في وجوه أصحابه متمجياً من تجويد أبي العباس في الجواب ، ولما أتقضى ذلك قال له أبو العباس : أقمت بالجواب ؟ فقال نعم قال : فان قال قائل في جوابنا هذا كذا ، كما أنت راجع إليه ، وجعل أبو العباس يوهن جواب المسألة ويفسده ، ويستل فيه ، فبقي إبراهيم سادراً لا يجير جواباً « (١)

واختتمت المسألة بعد حوار طويل ذكره الزبيدي ، بأن قال الزجاج لأصحابه :  
عودوا إلى الشيخ - يعني ثعلباً - فلست مفارقاً هذا الرجل . (٢)

ولا شك أن هذه الحادثة قضت على كل أمل في السلام بين الشيخين ، فهي - بالإضافة إلى أنها غذت المنافسة التقليدية بين ممثلي المدرستين - كانت قد أوقدت أبا العباس ثعلباً أحدهم أصحابه النابيين ، وأخذت تهدد مركزه العامي بتأييد مركز أبي العباس المبرد في أوساط بغداد العامية .

وشيء آخر لم يستطع ثعلب السكوت عليه ، ذلك أن خنته ، زوج ابنته أبا علي أحمد بن جعفر الدينوري المصري كان « يخرج من منزله وهو جالس على باب داره ، يتخطى أصحابه ، ويمضي ومعه محبرته ، ويقرأ كتاب سيديويه على المبرد » فكان ثعلب يعاتبه ، ويقول له « إذا رأك الناس يمضي إلى هذا الرجل ، وتقرأ عليه يقولون ماذا ؟ » ولكن أبا علي هذا لم يكن يلتفت إلى قوله ، بل يمضي إلى مجلس المبرد دون أن يرد عليه . (٣)

إن وجود المبرد الذي انتهى إليه النهج البصري بمنهجه النظري ، وبأساليبه الجدلية التي أغرت أبا إسحاق الزجاج باعتزال مجلس أستاذه الأول وملازمة أبي

(١) الزبيدي - طبقات النجوين - المبرد

(٢) نفس المصدر

(٣) انباء الرواه ج ١ ص ١٤٤ . وطبقات الزبيدي - ثعلب

العباس المبرد ، وجمعت أبا علي الدينوري أقرب الناس إليه يذهب إلى مجلس المبرد على سراى من تلاميذ ثعلب ، إن وجود هذا الرجل في بغداد كان نقطة تحول في تاريخ المدرسة الكوفية ، فقد تسرب إلى مجلس المبرد كثير من أصحاب ثعلب وتلاميذه .

ثم نشأت في عهد هذين الشيخين طبقة من الدارسين ، أخذوا عن شيوخ المدرستين ، وعرفوا المنهجين ، وأفادوا من هؤلاء وهؤلاء ، وتأثروا بهؤلاء وهؤلاء فنشأت منهم - على ما قيل - مدرسة بغداد .

وظل هذان الشيخان يتنافسان ، وظل أصحابهما يتنافسون ، كل يتحيز إلى شيخه ويفض من منافسه ، وكان المبرد يتفوق على ثعلب بحسن العبارة وقوة المنطق ، لذلك كان ثعلب يتحاماه ويحجم عن لقاءه ومناظرته ، لأنه - مع علمه - لم يكن معروفًا بالبلاغة ، « وكان إذا كتب كتاباً إلى أحد لم يخرج عن طباع الموام في كتبهم (١) » .

وربما لحن في كلامه ، وقيل ذلك عنه أمام أحد أصحابه ، فكان يمتدح له ، ويقول : « أبش يكون إذا لحن في كلامه » كان هشام النحوى بن معاوية الضير صاحب الكسائي يلحن في كلامه ، وكان أبو هريرة يكلم صبيانه بالنبطية (٢) .  
وسئل أبو علي الدينوري عن سبب امتناع ثعلب من لقاء المبرد ، فقال :  
« المبرد حسن العبارة ، فإذا اجتمعما حكم للمبرد ، فان مذهب ثعلب مذهب المعلمين (٣) »

ولكنه كان يضطر إلى لقاءه في بعض المجالس ، التي لا يسعه الاعتذار عن

(١) انباء الرواة ، ج ١ ص ١٤٥ .

(٢) انباء الرواة ، ج ١ ص ١٤٠ .

(٣) انباء الرواة ، ج ١ ص ١٤٥ .

الحضور اليها ، كجلس محمد بن عبدالله بن طاهر ، والى بغداد ، الذي كان قد عهد الى ثعلب بتأديب أولاده . وفي مجلسه دار الجدل في كثير من المسائل بين هذين الشيخين ، ومال الحسك فيهما الى المبرد ، وانتصر له على ثعلب ، وانتهى الأمر بأن ضم ابن طاهر أبا العباس المبرد الى نفسه ، وأبا العباس ثعلباً الى أولاده . (١)

هذه الحوادث وأمثالها كانت قد تركت في نفوس الناس أثراً ظهر في اهتمامهم واقبالهم على أمثال المبرد من البصريين ، وتركت في نفوس الكوفيين وأتباعهم أثراً مما كسا آثار المصيبة من جديد ، وأمدّها بالغيرة على الكوفيين والحمد على البصريين .

وكان من نتائج هذا أن انبرى ثعلب وأتباعه ، يبذلون جهوداً عظيمة في الترويج لمذهبهم ، فقد كان ثعلب يحمل كثيراً على المبرد من جهة ، وشيد بأشياخه الأولين من جهة أخرى .

وكان أكبر العيب في الترويج لمدرسة الكوفة من نصيب أبي بكر بن الأنباري ، صاحب ثعلب وتلميذه البار ، وكان - كما يقول المترجمون - يقول عن ثعلب ما لم يقله .

وإذا رصدنا الأخبار التي انبثت على الفلج في رجان المدرسة الكوفية ، وأعتما ، وجدنا مصدرها هو أبو بكر بن الأنباري ، فهو الذي كان يقول : « اجتمعت في الكسائي أمور : كان أعلم الناس بالنحو ، وأوحد عجم في الغريب وكان أوحد الناس في القرآن » . (٢)

وهو الذي تقول على ثعلب « فنسب إليه أنه قال : « أجمعوا على أن أكثر الناس كلهم رواية ، وأوسمهم علماً : الكسائي » حتى اضطر أبو الطيب

(١) بحاسي النفوس والنمات ، لوحة رقم ٤٥ نسخة مصورة عن مخطوط في استانبول .

(٢) غاية النهاية لابن الجزري ج ١ ص ٥٣٨ .

اللفوى أن يعقب على هذا ويقول : « هذا الاجماع الذى ذكره ثعلب لا يدخل فيه أهل البصرة » . (١)

وهو الذى كان يقول : « لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية إلا السكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس » ، وكان يقول : « النحو للفراء » والفراء أمير المؤمنين في النحو » . (٢)

وكان أبو بكر بن الأنباري ينال من أبي عثمان المازني ، ويرفع من أستاذه وعثر مرة ، فذكر أنه سمع ثعلماً يقول : « عزمت على المضى الى المازني ، فأنكر ذلك على أصحابنا » وقالوا : مثلك لا يصلح أن يمضي الى بصري ، فيقال غدا : إنه تلميذه ، فكرهت ، الخلاف عليهم » . قال ياقوت : « فأراد ابن الأنباري أن يرفع من ثعلب فوضع منه » . (٣)

ولم يسلم من نياه أحد من البصريين ، حتى الخليل ، ولم أرفيا قرأت للتقدماء من أقوال عن الخليل إلا إجماعاً منهم على إكباره وإعظامه ، والاعجاب بعلمه ، وذكائه ، وتفضيئه على سائر معاصريه ، ولم يطلع على الناس بزعم أن أبا جعفر الرواسي عمل كتاباً في النحو ، وسماه الفيصل ، فبعث اليه الخليل يستعيره . فوجه به اليه ، فقرأه الخليل ، وعمل كتابه عليه . إلا أبو بكر بن الأنباري (٤) ومن العجيب أن يحكم للرواسي بالنبوغ في عهد ابن الأنباري مع أنه لم يكن بشيء في عهد السكسائي ، فقد مر بنا ما دار بين السكسائي والفراء ، من تغليب السكسائي للرواسي في جميع المسائل التي حملها الفراء وأصحابه ، لا عنات السكسائي بها وتمجيزه .

(١) المزهر للسيوطي - مطبعة السعادة ج ٢ ص ٢٥٤ .

(٢) تهذيب التهذيب للمستقلاني ج ١٩ ص ٢١٢ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ج ٥ ص ١١٥ .

(٤) نفس المصدر

وكان لافتعال هذه الفصحة أثر في تشكيلك الدارسين في نسبة الكتاب الى سيديويه ، أو إلى الخليل ، وفي منزلة الخليل في عمله النحوي ، لا شيء إلا لأنه بصري .

ومها يكن من أمر فان اعتماد العصبية بين المدرستين إنما كان في هذه الفترة التي أخذت فيها أركان المدرسة الكوفية تتداعى بأقبال الناس على شيوخ المدرسة البصرية ، وتقديعهم على منافسيهم من أتباع المدرسة الكوفية .

وليس الأمر كما قال الأستاذ أحمد أمين : من أن الخلاف « بدأ هادئاً بين الرواسي في الكوفة والخليل في البصرة » ثم اشتد بين الكسائي في الكوفة وسيديويه في البصرة » (١) فان منشأ هذه المزاغم هو أصحاب ثلب ، أو هو أبو بكر بن الأنباري .

وربما كان مستند الأستاذ فيما ذهب إليه هو ما جاء في نزهة الألباء ، من نسبة القولة إلى أبي جعفر الرواسي نفسه ، وأكبر الظن أنه لم يقلها ، وإنما تقولوا بها عليه فلم يعرف للرواسي عمل نحوي يستطيع به منافسة الخليل على أن أبا البركات ابن الأنباري كان قد صدر الرواية بقوله : « ويحكى عنه أنه قال .. » (٢)

\* \* \*

والذي لا شك فيه هو أن ثلمياً كان كثير الحفظ ، واسم الرواية في اللغة والادب ، والقراءة ، والنحو ، « وكان معظمهم منصرفاً إلى حشد المادة التي تحفظ ، والامام بصيغ لغوية خاصة ، ليستطيع الافادة بهذه الطريقة » . (٣) ولولا حفظه لكتب الكسائي والقراء ، ووقفه على آرائها في النحو لكان واحداً من هؤلاء الكوفيين الرواة الحفظة ، لا شأن له بهذه الصناعة ، واسكنه

(١) ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٢) نزهة للألباء ص ٦٦ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ج ٦ ص ٢٠٠ .

أفاد من هذه الكتب ما جعله يملئ دروساً في النحو ، وما جعله يعد في زمرة الأئمة من نحاة السكوفة .

وكان يملئ دروسه في صورة تجالسات ، يسأله أصحابه فيجيبهم ، أو يعلی عليهم مسائل مما حفظه عن الفراء والسكسائي ، ومما أفاده هو من نحو هذين الأستاذين . وله آراء خاصة ، ولمكنها ليست هي كل شيء في إمامته . وفي كتابه (المجالس) كثير من هذه المجالسات والروايات ، وأكثر ما جاء فيها تكرار لما كان السكسائي والفراء يأخذان به .

وعلب بمثل طرازاً كرفياً أصيلاً ، باعتداده على الرواية ، وعدم أخذه بأساليب الجدل النظري ، الذي عرف به تلاميذ المدرسة البصرية ، وإمامته باللغات واللهجات ، واعتداده بما اعتد به السكوفيون الأولون من هذه اللغات .

ولم يكن ممتنياً بالقياس ، أو مستخرجاً للعلة ، فإذا سئل عن مسألة راح يبحث للجواب عنها فيما حفظه عن السكسائي والفراء ، « فإذا سئل عن الحجة والحقيقة لم يأت بشيء » . (١)

وكان أحد أصحابه يقول : « بلغني أن أبا العباس أحمد بن يحيى النحوي قد كره الكلام في الاسم والمسمى ، وقد كرهت لكم ما كره أحمد بن يحيى ورضيت لنفسى ولكم ما رضى » . (٢)

ويبدو أنه كان قد قرأ كتاب سيبويه ، ولمكنه لم يقرأه على بصري ، وإنما قرأه على نفسه . وأكبر الظن أنه إنما قرأه ، لأن ظرفه الخاص الذي وجد فيه منافساً للمبرد وغيره من البصريين اضطره إلى الوقوف عليه ، يتخذونه وسيلة للرد على خصومه في المناظرات التي كانت تعقد بينه وبين المبرد ، وبينه وبين

(١) انباه الرواه ج ١ ص ١٤٤

(٢) انباه الرواه ج ١ ص ١٤٢

ابن كيسان الذي كان أميل الى طريقة البصريين ، وبينه وبين غير هذين ، حتى قيل إنه « كان متبحراً في مذهب البصريين » . (١)

وكان قد وجه عنايته كلها الى كتب السكسائي والقراء ، كان يدرسها درساً ، وكان يقرأها تلاميذه إقرأه . ومن كتب القراء التي كان يقرأها : كتاب معاني القرآن ، وكان ابن الأنباري يقول : « ما أسيت على شيء كما أسيت على تركي السماع لكتاب معاني القرآن من أبي العباس أحمد بن يحيى » وإنما كان يقطعني عنه الحديث » . (٢)

ولم يكن أبو العباس مبتدعاً ، ولم يكن له أثر في تكميل المذهب الكوفي أو تهذيب طريقته ، وإنما كان له فضل استمراره ، والترويج له .

ويحيل إلى أن المدرسة كانت قد نمت واكتملت لضعفها ، وارتسم منهجها في عهد السكسائي ، والقراء . كان السكسائي مشتجعاً ، والقراء منظمياً ، فاما انتهت الى أبي العباس كانت حدودها مسبوقة ، ومنهجها مقوفاً ، وكان ثعلب حارسها الأمين .

وكان حفظه الكثير ، وروايته ، وتذييره ، من الموامل التي خدمت قضية الكوفة ، وحفظت أقوال أئمتها ، واستطاعت بهذا أن تستمر ، وان تجدها أتباعاً وأنصاراً في خلال المصور التالية ، وأن تزاخم مدرسة البصرة بالرغم من كثرة أنصارها ، وإعجاب الدارسين إذ ذلك بمنهجها . فكثير من مصنعات أئمتها الأولين ضاع ، ولم يبق منه إلا عنوانه تردده كتب التراجم والطبقات ، ولا يكن تلك المصنعات وجدت في شخص ثعلب يحافظها ، حريصاً على نشر ما كان فيها ، ووجدت من تلاميذه سواء منهم من بقي على منهجها ومن حاول التوفيق بينه

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٠

(٢) طبقات الزيدى « سلة بن حاصم »

وبين أهل البصرة ، حفظة لأكثر الأقوال ، مديونين ذلك في مصنفاتهم ، منتبهة منها إلى كتب النجاة المتأخرين .

كان تتبع ثعلب ، وسعة حفظه وإحاطته بأقوال شيوخه ، قد أنطق المبرد بفضله ، فقد كان يقول : « أعلم الكوفيين ثعلب ، فذكر له الفراء فقال لا يمشره » . (١)

وكان التاريخي يقول : « ثعلب فاروق النهويين ، والمماير على اللغويين من الكوفيين والبصريين ، أصدقهم لساناً ، وأعظمهم شأناً ، وأبعدهم ذكراً ، وأرفعهم قدراً ، وأصحهم علماً ، وأوسعهم حليماً ، وأثبتهم حفظاً ، وأوفرهم حظاً في الدين والدنيا » . (٢)

\* \* \*

### منهج في دراسة النحو :

قلت إن ثعلباً طراز كوفي أصيل ، ومنهجه هو منهج الكوفيين العام ، من اعتماد على المسموع من كلام العرب ، وميل عن التفلسف في القضايا النحوية ، ولهذا قيل : « لم يكن مستخرجاً للقياس ، ولا طالباً له ، وكان يقول : قال الفراء وقال الكسائي ، فإذا سئل عن الحجة والحقيقة لم يأت بشيء » . (٣)

يتضح هذا مما جاء في مجالسه في رده على أبي عثمان المازني ، فقد أملى أبو العباس ثعلب على أصحابه ما نصه :

« قال المازني في قول الشاعر :

فكفى بنا فضلاً على من غيرنا      حب النبي محمد إيماننا

إنما تدخل الباء على الفاعل . وهذا أيضاً شاذ أن تدخل الباء على الفاعل »

(١) انباء الرواة على أنباء النجاة ج ١ ص ١٤٢

(٢) انباء الرواة على أنباء النجاة ج ٧ ص ١٤٩ ١٤٢

(٣) انباء الرواة ج ١ ص ١٤٤

ولكن قد حكي هذا على المنقول .

قال أبو العباس: وكل هذا غلط . العرب تقول : كفى يزيد رجلاً ، وكفى  
زيد رجلاً ونعم يزيد رجلاً ، ونعم زيد رجلاً . وحكى الكسائي عن العرب :  
صررت بأبيات جاد بن أبياتاً ، وجاد أبياتاً ، وجدن أبياتاً ، ثلاث لغات .  
وكذا صررت بقوم نعم قوماً ، ونعم بهم قوماً ، ونموا قوماً ، وهذا كثير في  
كلام العرب . لا يقال شاذ . (١)

فلم يمن ثعلب في هذه المسألة بالأصول الموضوعية التي تمسك بها المازني ،  
ووصف قول الشاعر من أجلها بالشذوذ ، وإنما راح يؤيد قول الشاعر بلفظ  
مسنوعة من العرب ، رواها هو ، أو سمها ، وسمها الكسائي ، واعتبر وجودها  
رداً على المازني ، ولم نلمس في رده أثراً لمنطق ، ولا ظلاً لفلسفة ، إنما هو  
المسموع ، والمسموع وحده .

وهذا هو جانب الضعف فيه إذا جمعه بالمبرد مجلس المناظرة ، فلا يزال  
المبرد يتيسر ، ويعمل ، ويفلسف المسائل ، حتى يحكم له الناس ، لا معرفة بصحة  
ما يقول ، ولكن إعجاباً بتصرفه الكلام وتشقيقه ، واستخراج الأوجه العقلية  
الممكنة منه . وكان الدارسون منهم مفتونين إذ ذاك بهذا المنهج الفلسفي ، اشيع  
المذاهب الفلسفية ، وطغيان منهج أصحاب الكلام في البيئات الدراسية .

وانظر الآن ماذا كان من رد المبرد على ثعلب ، حين سأل ثعلباً عن همزة  
بين أسا كنه هي أم متحركة . قال ثعلب : لا سا كنه ، ولا متحركة ، يريد أن  
حركتها روم . فقال المبرد : « قوله : لا سا كنه قد أقر أنها متحركة ، وقوله  
لا متحركة ، قد أقر أنها سا كنه ، فهي سا كنه لا سا كنه ، ومتحركة لا

(١) مجالس ثعلب ص ٣٣٠ . ووردت حكاية الكسائي وما بعدها في « معاني

متحركة . « ١ »

يمثل هذا الأسلوب المنطقي العقلي كان المبرد وأمثاله يخضعون للأساليب اللغوية ، ويضمون أصول النحو وقواعده ، وبهذا الأسلوب حكم له محمد بن عبدالله بن طاهر بالفضل ، فقربه منه وأدناه من مجلسه .

وفي هذا المجلس نفسه ظهر الفرق بين المنهجين واضحاً ، فقد سألهما ابن طاهر عن قول الله عز وجل : « إذ قالوا لفرمهم إنا براء منكم » كم فيه لغة ؟ قال المبرد : قلت : براء على مثال كرماء ، وبراء على مثال كرام ، . فقَالَ ثعلب : وبراء ، ( بضم الباء أيها الأمير . « فقال : ما تقول يا محمد ؟ فقلت ( والقائل المبرد ) : أيها الأمير ، سله ، من أين . قال : قال من أين قلت ؟ قال ( والقائل ثعلب ) : حدثني سامعة عن الفراء أنه سمع أعرابية تقول : ألا في السوء أنتنه . تريد : ألا في السوء أنتنته . فطرحت الهمزة » . ( ٢ )

أما المبرد فقد اتهمها سائحة للفوز في هذا المجلس ، فأخذ يأنى بالحجة تلو الحجة ، وبالذليل بعد الدليل ، وكان آخر ما قال : لا يتوك كتاب الله ، وإجماع العرب لغول أعرابية رعناء » . ( ٣ )

\* \* \*

وقد روت كتب النحو لثعلب أقوالاً كثيرة ، متابهاً شيوخه في بعضها ، ومتفرداً في بعضها الآخر ، وقد ضمن مجالسه كثيراً من الآراء النحوية على المذهب الكوفي ، وكان يعرض لآراء بصرية في بعض المسائل ، ليرد عليها ، ويدفعها . ومن ذلك قوله :

١ - مجالس اللغويين والنحاة ( لوحة رقم ٤٥ )

٢ - نفس المصدر .

٣ - نفس المصدر .

« قال أبو عثمان المازني : إذا قلت : إن غدا يحبي زيد ، فهو على إضمار الأمر ، وتضمير الهاء ، فترجع إلى غير شيء . قال أبو العباس : وكل هذا غلط . العرب تقول : إن فيك يرغب زيد ، ولا يحتاج إلى إضمار الأمر لأن المجهول لا يحذف ومن قال : إنه قام زيد ، لم يحذف الهاء ، لأن الهاء دخلت وقاية لفعل ويفعل ، فإذا أسقطت كان خطأ » . (١)

ويبنى هذا الذي ذكره ثعلب على أن ( إن ) قد يبطل عملها ، ثم يستفاد منها التأكيدي ، كما تزداد أدوات أخرى لهذا الغرض ، وهو في هذا يتابع الكسائي والفراء في إجازة ذلك ، فقد حكى الكسائي والفراء جميعاً : « إن فيك زيد راغب » ، وقالوا : « بطلت إن » لما تباعدت . (٢)

وربما تفرد في أقوال خالف فيها جهرة الكوفيين ، فقد كان يذهب إلى أن الفعل في قولهم : جئت لأكرمك ، وسرت حتى أدخل المدينة « منصوب باللام وحتى لقيامها مقام أن » (٣)

ولم يقل بهذا الكوفيون ، ولا البصريون ، أما الكوفيون فيقولون بأن النصب إنما هو باللام وحتى أنفسها ، وأما البصريون فيقولون بأن النصب بأن مقدره بعدها .

وكان الكوفيون يعملون حذف الواو في « يمد ويزن وأمثالها » ، وثبوتها في يوجل بأنه للفرق بين المتعدي واللازم ، « : »

أما ثعلب فقد تابع البصريين في هذا ، فقد أملى على أصحابه في مجالسه ما نصه : « وعد يعد ، ووزن يزن . كان يوزن ويوعد ، فلم يجتمع الواو مع

(١) مجالس ثعلب ص ٣٢٩

(٢) مجالس ثعلب ص ٨٩ .

(٣) شرح المنفصل لابن يعيش ج ٨ ص ٢٠ .

(٤) شرح الرضي على الشافية ص ٢٨٣ .

السكسرة والياء ، ثم بنوا الفعل على هذا فقالوا : يزن .. ووجل يوجل ، ثبت الواو : لأن بمدته فتحة ، فلم يجتمع ما يستثقل . (١) وهذا هو الأصل الذي كان البصريون يستندون إليه في حذف الفاء في المضارع من المثال .

وقد تابع البصريين أيضاً في ذهابهم إلى جواز نحو قولهم : « ما طعامك أكل إلا زيد » . أما السكوفيون فكانوا لا يجوزونه ، محتجين أن الأصل في زيد « أن لا يكون هو الفاعل ، وإنما الفاعل في الأصل محذوف قبل إلا ، لأن التقدير فيه : ما أكل أحد طعامك إلا زيد » . (٢)

وخالف السكوفيين والبصريين جميعاً في نحو قولهم : « طعامك ما زيد آكل » فقد كان يذهب إلى أنه جائز من وجه ، فاسد من وجه آخر . أما السكوفون فكانوا يذهبون إلى جوازه مطلقاً ، وأما البصريون فكانوا يذهبون إلى عدم جوازه مطلقاً .

وبيان ما ذهب إليه ثعلب : أنه « إذا كانت رداً لخبر جاز التقديم ، وإن كان جواباً للقسم لم يجز » . (٣)

وثعلب في كتاب المجالس كثيرة الرواية عن الفراء ، وتعميل هذا واضح لما سبق من تلمذته له في كتبه ، إذ كان يحفظ كتب الفراء كلها ، بحيث لم يبق من مسأله مسألة إلا حفظها ، وهو لهذا أيضاً يعيل إلى رأى الفراء غالباً ، حيث يختلف السكسائي والفراء ، ويدفع رأى السكسائي . (٤)

وهذا يؤيد زعمي فيما سبق - في منزلة الفراء عند السكوفيين

(١) مجالس ثعلب ص ٤٢٨ .

(٢) الانصاف ( مسألة ٢١ ) .

(٣) الانصاف - مسألة ٢٠ - .

(٤) مجالس ثعلب ص ٤٧٢ ، ٥١٤ .

واهتمامهم بأقواله ، وأن المذهب الكوفي ينسب أكثر أسسه على أقواله وآرائه .

\* \* \*

### تمويه

وتلاميذ ثعلب كثيرون ، ذكرت فيما مر جماعة منهم ، وذيلت اسمه بأسمائهم في الجدول السابق ، ولم يقم هؤلاء جميعاً على ما تلقوه من أبي العباس ثعلب فان أبا إسحاق الزجاج كان واحداً منهم ، ولكنه انحاز إلى حلقة المبرد ، ولم يمد إلى حلقة ثعلب ، وعند بدمث من أتباع المدرسة البصرية ، وقد مر بنا قصة ذهابه إلى المبرد لمناظرته وإسكاته .

قال عنه أبو النديم : إنه « أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه ، وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً » . (١)

وعده الزبيدي في الطبقة التاسعة من تجاه البصرة ، ومن أصحاب المبرد وترجم له أبو البركات بن الانباري ، فذكر أنه لازم أبا العباس المبرد ، ورد على ثعلب في الفصيح (٢)

وذكره السيرافي فقال : « ومن أصحاب أبي العباس محمد بن يزيد : أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، وأبو الحسن بن كيسان ، وإليهما اقتبت الرئاسة في النحو بعد أبي العباس ، محمد بن يزيد ، غير أن أبا إسحاق كان أشد لزوماً لمذهب البصريين ، وكان ابن كيسان يخلط المذهبيين » . (٣)

وأن أبا الحسن بن كيسان ، وأبا موسى الحامض ، وعلي بن سليمان الاخفش ، وإبراهيم بن عرفة ، تفتويه ، كانوا ممن خلط المذهبيين .

١ - فهرست ابن النديم ص ٩

٢ - نزهة الالباء ص ٢٩

٣ - أخبار النحويين البصريين ص ٨

ولم يهتم من هؤلاء الذين تلمذوا الثعلبي على المنهج الكوفي إلا أبو عمر الزاهد وأبو بكر بن الأنباري ، ممن وقفت عليهم من تلاميذه .  
أما أبو عمر الزاهد فليس بشيء . وسمع ابن النديم جماعة من العلماء يصفون حكايته ، وينسبون به إلى الزيد .

وأما أبو بكر بن الأنباري فهو الذي ترسم خطا الكوفيين ، وتأثر أستاذه ثعلبياً ، وعرف بتمصبه لمدرسته ، ونقوله السكيرة عن شيوخها .

ولا يمكن تجاهل ابن الأنباري ، وهو كوفي نابيه ، كثير الحفظ ، واسع الاطلاع ، فقد أكتسب الطبقات والتراجم من تقريره والثناء عليه ، واتفقت كلماتها على أنه كان أكثر الكوفيين حفظاً للغة والشواهد ، حتى قال أبو علي القالي : « كان ابن الأنباري يحفظ ثلاث مائة ألف بيت شاهد في القرآن ، وكان أحفظ من تقدم من الكوفيين » . (١)

وفي شذرات الذهب عن محمد بن جعفر التميمي أنه قال : « ما رأينا أحفظ من ابن الأنباري ، ولا أغزر بحراً : حدثوني عنه أنه قال : أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً » . (٢)

وروى عنه الدار قطنى وجماعة ، وكتب عنه ، وأبوه حى ، « وكان يملئ في ناحية من المسجد ، وأبوه من ناحية أخرى ، ومرض فعاده إصحابه ، فرأوا من انزعاج والده أصراً عظيماً ، فطيبوا نفسه ، فقال : كيف لا أنزعج ، وهو يحفظ جميع ما ترون ، وأشار إلى خزانة مملوءة كتباً » . (٣)

أما منزلته النحوية ، فقد حددها أبو الطيب ، كما مر ، فلم يذكره في أئمة

(١) غاية النهاية لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٣٠

(٢) شذرات الذهب لابن العماد ج ٢ ص ٣١٥ .

(٣) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٦

الكوفيين ، لأنه عنده من أصحاب الأسماء (٧) والحفظلة  
ويشهد لأبي الطيب اللغوي قلة ما روت له كتب النحو من أقوال نحوية ،  
وهو في أكثر هذه الروايات كان يقول بمقالة أحد شيوخ الكوفة ، أو كان  
يروى عنه ، وما كان له خاصة فنادر .

فما كان يتابع به أحد الأئمة ما ذهب إليه من تجويزه تأخير الفاعل إن  
حصر المفعول ، ويتنوع تقديمه إن حصر هو .

وليس هذا الرأي له ، فقد سبقه الفراء إليه ، ولكنه قرن اسمه باسم الفراء  
حين نقل هذا الرأي (١) ، وسبق الفراء إليه يعني أن ابن الأنباري كان مقلداً  
فيه حسب .

ومنه ما ذهب إليه من جواز وقوع ( أن ) المصدرية بعد فعل علم غير  
مؤول ، وهذا الرأي رأى الفراء أيضاً ، وأن قرن الرضى اسمه باسم الفراء . (٢)  
ومن مسوياته التي كان يستند إليها في التسمية « نعم وبئس » ، ما حكاها عن  
ثعلب عن سامة عن الفراء : « أن أعرابياً بشر بمولودة ، فقيل له : نعم  
المولودة مولودتك . فقال : والله ما هي بنعم المولودة ، نصرتها بكاء ، وبرها  
سرقه » . (٣) وكان الفراء قد استند إليها في ذهابه إلى التسمية « نعم وبئس »  
من قبل .

---

(١) سبق أن مررت بنا رواية أبي الطيب اللغوي هذه وكان النص الذي نقله السيوطي  
عنه : « رواية أصحاب أسفار » صححنا ، يدل على تصحيحه ١٠٠ - سياق النص و ٣٠٠ ما جاء  
في نسخة دار الكتب المنصورة مراتب الصحويين فقد جاء النص فيها كما يأتي : « فأما التامم  
الأنباري ومن روى عنه مثل أبي عبيد الملقب بأباصيدة فن هؤلاء رواة أصحاب أشعار لا  
يذكرون مع من ذكرنا » ص ١٥٢ مراتب الصحويين .

(٢) هم الهوامع ج ١ ص ١٦٩ .

(٣) شرح الرضى على الكافية ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٤) الإنصاف ص ٦٧ .

ومن أقواله التي أحسب أنه تفرد بالقول بها ما زعمه من أن ( بين ) تكون شرطية إذا وقعت في أول الكلام . (١)

وما زعمه من جواز الرفع في صفات المنادى إذا كانت هذه الصفات مضافة إضافة معنوية ، نحو : يا زيد ذو المال ، يا بكر أبو عمرو ، يا تميم كلكم ، كما يجوز عند الجمهور أن ترفع الصفات المفردة ، نحو يا زيد الظريف ، أو المضافة إضافة لفظية ، نحو : يا زيد الحسن الوجه ، أو الشبيهة بالضاف ، نحو يا هؤلاء المشرون رجلاً . (٢)

فهذه الأقوال القليلة ، وهي أكثر ما وقعت عليه من أقواله لا تكفي لوضع صاحبها في درجة الشيوخ ، الذين أقاموا بأعمالهم مدرسة السكوفة ، وقد مضى الكلام في هذا فلا حاجة بنا إلى إعادته .

---

(١) هم الهوامع ص ١٤٩ .

(٢) شرح الرضى على السكافية ج ١ ص ١٣٧